

كلمة صغيرة

المؤتمر العالمي للسكان والتنمية ، مؤتمر مشبوه ، يتضح ذلك من خلال ورقة عمله التي بلغت مائتي صفحة ، تضمنت أموراً مصادمة للإسلام من الدعوة إلى تسهيل القضايا الجنسية ، وتشجيع المساواة المطلقة بين البنين والبنات في كل التشريعات، ولدعوة إلى تحديد النسل ، وإشاعة موانع لحمل وسن القوانين التي تبيح عمليات الإجهاض وتلك الدعاوى الباطل للإسلام منها موقف حاسم ولذلك رفضه علماء الإسلام قاطبة .

فلماذا _ إذن تستضاف تلك المؤتمرات المشبوهة لتطرح سخافاته بدعوى العلم وحرية الرأي وهي تصادم الدين ؟ ، ولماذا لم يعقد هذا اللتان تعنيان من كثافة سكانية عالية وليس لديهما دين يمانع في تبني تلك الدعوى الباطلة؟! .

إننا في حاجة إلى زيادة النسل مع أسلمة خطط التنمية ، وفي ذلك حل لكل إشكاليات المؤتمر .

والسؤال المهم لمصلحة من يقام هذا المؤتمر ؟

الافتتاحية

ماذا وراء أمواج السلام!؟

للإسلام مع يهود تاريخ حافل بالصراع تخلفته صور عديدة لمكرهم وغدرهم مصداقاً لقوله تعالى ((ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا)) ، ومؤامرات ابن السوداء وميمون القذاح وآثارها الخطيرة في تاريخنا مسطرة وجهودهم في إفساد تراثنا الإسلامي ببث إسرائيلياتهم معروف وتظاهرهم بالإسلام للكيد له كما فعل (يهود الدونمة)، الذين عملوا على إسقاط الخلافة العثمانية ، لا يجهله أي قارئ للتاريخ الحديث، وقامت دولتهم على ثرى فلسطين المسلمة بدعم من الإنجليز الذين أعطوهم (وعد بلفور) عام ١٩١٧ مؤذناً بقيام دولتهم التي قامت فعلاً عام ١٩٤٨ ، ولم تفلح الحكومات العربية آنذاك في التعامل معهم ومواجهتهم ، بل أوقفت الزحوف المجاهدة المنطلقة لتحرير فلسطين المغتصبة بدعوى أن ذلك واجب الحكومات العربية التي انهزمت شر هزيمة ، وتوالت النكبات في عصور القومية العربية والنزعات الثورية العلمانية ، التي لم تكن سياساتها حيال العدو سوى الحرب الكلامية ومجرد التلويح باسترداد الأراضي المغتصبة ليس إلا! وكانت النتيجة المحتممة لتلك السياسات العجيبة الهزائم المتوالية في أعوام ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣ مما أوجد إحباطاً لدى الشعوب العربية التي لم تعد الإعداد المطلوب للجهد في سبيل الله وهذا ما أدى فيما بعد إلى السقوط في مستنقع الاستسلام للعدو بدءاً بقبول (مشروع روجرز) من قبل (عبد الناصر) إلى صلح السادات في كارثة (الكامب ديفيد) إلى الغرق في الوحل بمهزلة الحكم الذاتي في غزة وأريحا ، التي مازال العدو يمسك بخناقها ، ثم التوقيع بالصلح مؤخراً مع الأردن ، حيث أعلن أن هذا الصلح يؤذن بإنهاء الحرب بين البلدين بعد وعد من أمريكا بالدعم الاقتصادي والتنازل عن ديونه، ومد جيشه بالسلاح ، ولا ندري لحرب من؟! .

- والواضح أن ذلك الصلح مخطط له منذ عشرين سنة على الأقل! وهذا ما أكدته الخطوات التطبيقية السريعة بينهما والتمثلة فيما يلي:
- ١- الربط المباشر بين البلدين في الهاتف والكهرباء.
 - ٢- فتح نقطي عبور جديدين للسياح والرحال
 - ٣- الإسراع بفتح ممر جوي بينهما وهو ما حصل بالفعل ٤ تعاون قوات الأمن في البلدين لمكافحة الجريمة.
 - ٥- استمرار المفاوضات حول الشؤون الاقتصادية تمهيداً للتعاون الثقافي المستقبلي، والكاسب الوحيد في مسألة السلام هذا هو العدو لأمر منها:
 - ١- نجاحه في تفريق الصف العربي والتفرد بكل دولة في سلام مهين
 - ٢- التطبيع القادم في الأصدعة السياسية والإعلامية والسياحية ، وأخطر من ذلك التطبيع الثقافي الذي يعني إزالة كل ما في الكتب والصحف والمناهج من كون اليهود أعداء لأمتنا ، ولا ندري ماذا سيصنعون بما في الوحيين
 - ٣- انتعاش الاقتصاد الصهيوني بخاصة بعد تطبيق إلغاء المقاطعة العربية وهذا ما بشر به (بيريز) قومه في كتابه (شرق أوسط جديد)
 - ٤- تفريط الأمة في بناء قوتها بناءً على هذا السلام الموهوم بينما العدو مسلح نووياً واقتصادياً وإعلامياً ، بما لا يدع مجالاً للمقارنة
- إن موقفنا من العدو موقف عقيدة ، وليست المسألة حاجزاً نفسياً يسهل هدمه ، يقول تعالى ((ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)). ولاشك أن التداعي السريع على هذا السلام أو بتعبير أدق (التطبيع) هو تجاهل لموقف عقيدتنا وجهل بحقيقة الصراع مع العدو ، مما أدى إلى السياسات العقيمة على كل الأصدعة ، حيث ووجه الاتحاد بالتفريق ووجهت القوة بالضعف والعقيدة بالأيديولوجيات الفاشلة.
- إن الحل الإسلامي الذي يعرفه العدو ويخشاه مازال معطلاً من إعداد للعدة وتجهيز للجيش وتربية للأمة التربوية الجهادية وتحكيم لشريعة الله واستقلالية للقرار بعيداً عن المؤثرات الأجنبية ، وهذا الحل هو ما يخشاه قادة العدو ، يقول (بن جوريون): «لا نخشى إلا الإسلام ، هذا المارد الذي بدأ يتململ من جديد ويقول: إن ما أخشاه أن يظهر في العالم العربي: محمد جديد»
- إن واقعنا اليوم - في خضم هذه الأحداث المتوالية - يضع علامات استفهام كبيرة تحتاج إلى جواب. لماذا ينحى الإسلام من المواجهة وهو الحل الحاسم لخطر العدو؟
- لماذا تضرب الحركات الإسلامية المجاهدة في كل بلد عربي عند التمهيد لكل سقوط واستسلام للعدو؟
- لماذا يصادر الرأي المعارض للاستسلام ويعتبر أهله دعاة انقسام وتفريق للصفوف ويحاربون بكل الوسائل الإعلامية؟
- لماذا تستخرج الموافقة للاستسلام للعدو بأساليب مزيفة وإدعاء أن ذلك رغبة الشعوب مع محاولات إغرائها بوسائل مكشوفة لقبول تلك التوجهات؟! كيف يفرط في أراض إسلامية مغتصبة ويكتفى ببعض ما احتل بعد نكبة ٦٧ فقط ، وما قبلها أليست تلك أراض إسلامية محتلة؟! ولا ندري متى يُكف عن التزوير وتسمية الأشياء بغير اسمائها ، ففي هذه الأيام يسمى هذا السقوط بسلام الشجعان! وما عهدنا الشجعان يفرطون في مبادئهم ويتهاونون في حقوقهم.

وعلى كل حال يجب أن لا نياس من روح الله ونصره ، متى ما صدقنا معه ، وأعدنا العدة ، وجاهدنا في سبيله بكل السبل الشرعية المتاحة ومن أعظمها إيقاظ الحس الإسلامي في الشعوب الملبس عليها ، ببيان حقيقة أعدائها والموقف منهم ، وتبشيرها بمثل قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم- (« لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا يهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودي يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله»)* ، فلماذا نعطي الدنيا في ديننا والله تعالى يقول: (« والله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون»))

الهوامش :

* رواه البخاري في صحيحه ، باب قتال اليهود من كتاب الجهاد ج ١/٢٣٢

في إشراق آية

وخلق الإنسان ضعيفاً (١)

د. عبد الكريم بكار

الإنسان هذا المخلوق العجيب هو صنعة الله تعالى المحكمة الدقيقة هذا الإنسان الذي يبدو للوهلة الأولى في منتهى البساطة مشتمل على كل أشكال التعقيد، إنه يبدو قوياً مخيفاً مع أنه في حد ذاته ضعيف في كل جانب من جوانب شخصيته ضعفاً لا يوازيه شيء سوى ما يدعيه من القوة والعزة والسطوة!

إن هذه الكلمات القرآنية الثلاث قد لخصت لنا جوهر الإنسان ، لكن دون أن تضع لنا الإصبع على مفردات ذلك الضعف ومظاهره ليظل اكتشافها التدريجي عبارة عن دروس وعظات مستمرة تذكر الإنسان بحقيقته ، وسوف ينفذ العمر دون أن نحيط بحقيقة أنفسنا. ويمكن أن نسلط الضوء على بعض ما أدركناه من ضعفنا وبعض ما يجب علينا تجاه ذلك في الكلمات التالية:

١- تبصّر بني الإنسان عل الرغم من التقدم المعرفي الكبير بأجسامهم مازال محدوداً إلى يوم الناس هذا ، فهناك أجزاء من أجسامنا مازالت مناطق محرّمة ، فعلم الدماغ مازال علم إصابات أكثر من أن يكون علم وظائف وتشريح ، ومركبات الأنسجة والسوائل المختلفة في أجسامنا وتفاعلها مع بعضها مازال الكثير منها مجهولاً ، فإذا ما دلفنا إلى مناطق المشاعر والإدراك وصلاتها وتفاعلاتها بالجوانب العضوية ، وجدنا أن كثيراً مما لدينا ظنون وتخربات أكثر من أن يكون حقائق. فإذا ما خطونا خطوة أخرى نحو العالم الوجداني والروحي وجدنا أنفسنا في متاهات وسرايب، حتى إن الفردية لتطبع كل ذرة من ذرات وجودنا المعنوي، مما يجعل إمكانات الفهم ووضع النواميس والنظم العامة أموراً قليلة الفاعلية محدودة النجاح.

إن الباحثين في مجالات علوم الإنسان يجدون الطرق متشعبة ملتوية كلما تقدموا نحو الأمام، على حين أن الباحثين في علوم الطبيعة يستفيدون من أنواع التقدم المعرفي الأفقي في إضاءة ما بقي مظلماً من مسائل الطبيعة والمادة. وتقدّس الله تعالى إذ يقول: ((ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً)) [الإسراء: ٨٥]

ويزداد ظهور ضعف الإنسان حين يدخل الإنسان في صراع بين عقله ومشاعره حيث يجد نفسه عاجزاً عن دفع مشاعره والخلص من وساوسه والتغلب على مخاوفه أو معرفة مصدرها في

بعض الأحيان ، ليدرك المرة تلو المرة أنه مع طموحه إلي السيادة على الأرض وغزو الفضاء قاصر عن السيطرة على نفسه!.

إن فاعلية كل رأي ودقته نابعان من مجموعة العمليات التي يستند إليها فحين تكون تلك العمليات ظنية وعائمة فإن آراءنا الطبية والنفسية سوف يظل كثير منها هشاً ونسبي الصواب .
٢- هذا الإنسان الضعيف لا يستطيع أن يبصر الأمر إلا ضمن شروط ومعطيات زمانية ومكانية وثقافية خاصة ومحدودة، فهو لا يستطيع أن يتخلص من محدودية الرؤية وضرورة النظر من زاوية معينة، وهذا هو السر الأكبر في أننا لا نملك أن نتفق حول كثير من المسائل والقضايا المطروحة. إن خصوصية تكويننا وظروفنا ومشاعرنا تدفع مواقفنا وآراءنا إلى التفرد ، ومن ثم فإننا نعجز عن توحيد الرؤية وبسط الرأي الواحد في أكثر شؤوننا.

٣- نحن عاجزون عن إدراك الأشكال النهائية لأكثر حقائق هذا الكون دفعة واحدة ، فالحقائق لا تسفر لنا عن كل أبعادها وأطوارها إلا على سبيل التدرج ، ومن ثم فإن الإنسان الضعيف يظل يكتشف عجزه باستمرار ، وكأن ما يحرزه من التقدم اليوم ليس إلا عنواناً على ما كان يجهله بالأمس ، وما سيصل إليه غداً ليس إلا رمزاً على ما يجهله اليوم ، ومن ثم فإن التغيير والتطوير يظلان ملازمين لكل إنتاجاتنا وإبداعاتنا علي مقدار ما نحرزه من تقدم في العلم والفهم ، والمقولة التي لا يفتأ هذا المخلوق الضعيف يرددتها: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت كذا ، ولقلت كذا..» وانطلاقاً من هذا فإن من سمات النظريات العلمية الناجحة أن تكون منفتحة وذات قابلية جيدة للإضافات التي تأتي بها حركة كشف الحقائق وإدراك المجهولات.

٤- هذا الإنسان الضعيف لا يستطيع أن يجزم بشيء مقطوع من حوادث المستقبل ، فمهما أدرك المرء الظروف والعوامل والمؤثرات التي تحيط به لم يستطع أن يعرف ماذا سيحدث له بعد شهر أو يوم أو ساعة ، وأعظم أطباء الدنيا لا يستطيع ضمان استمرار حياته أو حياة غيره ساعة من زمان ، ومن ثم فإن القلق والخوف من المستقبل هما الهاجس الجاثم فوق صدر الإنسان الحديث الذي فقد الإيمان وفضيلة الدمج بين الحياة الدنيا والآخرة ، والمتأمل في كثير من الأقوال والتصريحات والدراسات يجد أن خبراء الاستراتيجية هم أكثر الناس مجازفة ولا سيما عندما يشرعون في سرد التفاصيل للأحداث المتوقعة ، حيث تقصر طاقات البشر وإمكاناتهم عن التنبؤ بها(٢).

٥- أكثر ما يظن فيه عجز الإنسان وضعفه هو الإمكانيات التي يمتلكها لفهم الواقع المعاش بكلياته وجزئياته ومشكلاته وخبائاه ، وقد كثرت في أيامنا هذه الدعوة إلى فهم الواقع وفقهه ، وهي دعوة مهمة ، لكنها تخفي في طريقة طرحها نوعاً من التبسيط للمسألة ، حيث إن فهم الواقع أو مقارنته مسألة من أعقد ما يواجهه العقل البشري ، فالقيم التي نؤمن بها تتحكم إلى حد كبير في رؤيتنا لذلك الواقع ، وكثيراً ما تشكل حائلاً بيننا وبين رؤية حقيقة ما يجري فيه. والعقل الإنساني حتى يلامس الواقع فإنه يفترض ثباته وجموده، على حين أن الواقع يظل محطة لتدفق التحولات المشعثة الكثيرة والحادة أحياناً مما يجعل إدراكنا قاصراً عن ملاحظته ، وبالتالي فإن أحكامنا تصدر على أشياء فائتة ومنتبهة ومن هنا فإنه لا بد من بناء (إشكالية) ، يتم من خلالها تقسيم الواقع إلى قضايا يمكن تحديدها وتقديم إجابات وحلول لها ، والنمط الذي سنصور الواقع من خلاله هو عبارة عن صورة عقلية مركبة تدخل فيها رؤانا العقديّة إلى جانب العناصر المعرفية والقيم الاجتماعية التي ترشد حركة المجتمع ، ومادام كل ذلك متفاوتاً عند الناس فإن عجزنا عن لمّ الخلاف سوف يظهر أكثر وأكثر عندما نحاول تقويم الواقع وإصدار الأحكام عليه.

وهذا ما سيؤدي بالتالي إلى اختلافات كثيرة في مناهج الإصلاح ومشروعات النهوض الحضاري ، وهنا يظهر مرة أخرى مأزق وهن الإنسان حيث إن التقدم العلمي لا يتحقق دون

الإغراق في التخصص ، والتقدم يستمد مشروعيته وأهميته من كونه يقدم الأدوات التي تساعد على إصلاح شأن الإنسان وترشيد قراراته ، لكن الإغراق في التخصص يحول دون فهم الواقع ودون فهم حاجات الإنسان المختلفة من منظور شامل ، إذ إن مجال التخصصات هو الجزئيات ، وفهم الواقع الإنساني يحتاج إلى رؤى ونظريات كلية لا تتوفر عادة عند الاختصاصيين.. ومن هنا ندرك لماذا نرى تقدم المعرفة وتأخر الإنسان وانحداره شيئاً فشيئاً نحو البربرية! إننا عاجزون عن رعاية شؤوننا إذا ما ابتعدنا عن الانتفاع بالهداية الربانية.

الموقف الموضوعي مما سبق:

إذا كان الإنسان على ما ذكرنا من العجز والقصور فإن عليه أن يطمئن من نفسه ، ويخضع لقيوم السموات والأرض خضوع العارف بضعته المدرك لعظمة خالقه متخذاً من ذلك باباً للأوبة والتوبة الدائمة.

وعلى الإنسان مع ذلك أن يحترم عقله وقدراته فلا يزجّ به في مجاهيل وغيوب لا يملك أدنى مقدمات للبحث فيها ، حتى لا يتناقض واقعه مع ذاته ومن المنهجية القويمة أن نعلم أنفسنا الصبر على الاستقراء والتأمل وعدم المسارعة إلي إطلاق الأحكام الكبيرة قبل التأكد من سلامة المقدمات التي تستند إليها ، وحين نصل إلي حكم ظني فإنه علينا أن نصوغه بطريقة تُشعر المطلع عليه بذلك ، فلا نسوق القطعيات مساق الظنيات ، ولا الظنيات مساق القطعيات. ويروون عن الإمام مالك رحمه الله أنه كان كثيراً ما يردد قوله تعالى ((إن نظراً إلا ظناً وما نحن بمستيقنين)) [الجاثية: ٣٢] وذلك عندما يُستفتى فيفتي، وقد عتب الإمام الجويني على الماوردي أنه كان في كتابه «الأحكام السلطانية» يسوق المظنونات والمعلومات على منهاج واحد» (٣). مع أن النصوص في مجالات «السياسة الشرعية» قليلة ، وأكثر المسائل فيها مبنية على الاجتهاد. إن الوضعية التي وضع الله تعالى فيها الإنسان تحتم أن نظل في حالة من الاستعداد الدائم لقبول الحق أياً كان مصدره والتراجع عن الخطأ وتعديل الرأي وامتلاك فضيلة المرونة الذهنية ، وعلى الله قصد السبيل.

الهوامش:

(١) النساء: ٢٨

(٢) اقرأ إن شئت ما كتبه (نيكسون) في كتابه (نصر بلا حرب) عن المستقبل الذي يتوقعه لروسيا ثم ما آلت إليه الأمور!.

(٣) انظر الغياثي: ١٤٢ تحقيق د. عبد العظيم الديب

من فقه الدعوة

نظرات تربوية في خلق الصدق

-٣-

عبد العزيز بن ناصر الجليل

نشرت الحلقتان الأولى والثانية من هذه الدراسة في العدد (٧٥) و(٧٦) من هذه المجلة، ولظروف فنية تأجلت هذه الحلقة الأخيرة حيث يضع الكاتب بين يدي القارئ هذه الهموم والأشجان في صورة رسائل إلى من يهمه الأمر.

- البيان -

الرسالة الأولى إلى علماء الأمة وطلاب العلم فيها:

أوصي نفسي وإياكم بما أوصى به ربنا عز وجل عباده المؤمنين ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا وكونوا مع الصادقين)) [التوبة: ١١٩].

يا علماءنا الأجلاء: يا من تعقد عليهم الأمة أملها بعد الله سبحانه في إنقاذها مما هي فيه من جهل ومحن وبلاء ((اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)) وإن من لوازم الصدق مع الله سبحانه وتعالى ومع عباده المؤمنين ، الحذر الشديد من الدنيا وزينتها وزخرفها ، فلا أضر على العالم منها ، ولذا كان سلفنا الصالح يحذرونها أشد الحذر ، فبارك الله في علمهم وعملهم ، وأصلح الله بهم ما فسد .
أيها العلماء الأجلاء: إن أمتنا الإسلامية تمر في هذا الزمان بمحن شديدة وهي تنتظر كلمتكم ، فإذا سكتكم فمن لعقيدة الأمة التي يسعى الأعداء لإفسادها ومن لدماء الأمة التي تسفك وتستباح يوماً بعد يوم ، ومن لأعراض الأمة وأخلاقها التي تنتهك باسم الحرية والتقدم والتحضر ، ومن لأموال الأمة واقتصادها الذي تسري فيه نار الربا والبيوع المحرمة!؟

ودعاًؤنا إلى الله عز وجل أن تلتحم صفوف المصلحين في هذه الأمة من علمائها ودعاتها ومجاهديها وقادتها ليكونوا يداً واحدة في الإصلاح والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، راجياً أن تقبلوا هذا التذكير ولو صدر من ابنكم الصغير .

ولكم في سيرة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قدوة حسنة ، فقد استفاد في محنته من أعرابي عامي... ذكر الذهبي في السير: قال أحمد بن حنبل: ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر يعني محنته أقوى من كلمة أعرابي كلمني بها في رجعة طوق ، قال: يا أحمد ، إن يقتلك الحق مُت شهيداً ، وإن عشت عشت حميداً ، فقوى قلبي(١).

الرسالة الثانية إلى دعاة الأمة ومجاهديها:

أوصي نفسي وإياكم بما أوصى به الله سبحانه عباده المؤمنين: ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)) [التوبة: ١١٩].

وإن من لوازم الصدق ومقتضياته أن تكون الدعوة إلى الله عز وجل والجهاد في سبيله لأجل الله عز وجل وابتغاء مرضاته ، فلا تكون لأجل مال أو منصب أو جاه أو كسب شهرة أو التعصب لشيوخ أو حزب أو طائفة ، لأن كل ذلك ذاهب وضائع ومحموق البركة في الدنيا والآخرة ، فحري بنا أن نحاسب أنفسنا ونحن في طريق الدعوة والجهاد في سبيل الله ، ونتبين مدى صدقنا في دعوتنا إلى الله سبحانه ، وهل هي خالصة لله وحده أم يشوبها ما يشوبها من أعراض الدنيا الفانية..!؟
وإن من لوازم الصدق في الدعوة إلى الله سبحانه أن يبادر الداعية إلى تصديق قوله وما يدعو إليه بفعله ، وأن لا يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، أو يرغب في فعل ولا ينوي القيام به ، أو يظهر للناس حرقة وغيره على هذا الدين والأمر لا يتعدى شقشقة اللسان ، والقلب مشحون بأمر الدنيا وشهواتها وغارق في وديانها ، إن كل ذلك مما ينافي الصدق في الدعوة إلى الله عز وجل .
مع أهمية سلامة قلب الداعية من الغل والحقد والحسد على إخوانه الآخرين من الدعاة، وإنما يُكَنّ المحبة لكل مصلح يدعو إلى الخير، ويتعاون معه في طاعة الله عز وجل، ولا يحتقر جهده مهما قل ، ولا تراه إلا حريصاً وساعياً إلى اجتماع الكلمة ووحدة الصف ، فالداعية الصادق يكره الفرقة والاختلاف إذا لم يكن في أصول الدين وكلياته ، والدعاة الصادقون يرحم بعضهم بعضاً ، ويرفق بعضهم ببعض، ويتناصحون فيما بينهم.

كما إن الصدق مع الله سبحانه في الدعوة والجهاد يفرض على المسلم أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه ويجاهد من أجله ، وهذا يلزم التفقه في الدين والتبصرة فيه بما قال الله عز وجل وقال رسوله صلى الله عليه وسلم- وفهمه الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

وإن من لوازم الصدق في الدعوة إلى الله سبحانه ، الحذر من كيد الأعداء المتربصين بهذا الدين وأهله من الكافرين والمنافقين ، وبخاصة في زماننا هذا الذي تنوعت فيه أساليب المكر والخبث ، فحري بالداعية الصادق أن يتفطن لدسائس الأعداء ودجلهم ونفاقهم ولو ألبسوا ذلك كله لبوس الحكمة والمصلحة إن التنازل ليسير من الداعية إلى الله سبحانه لا يقف عند حد ، بل يتبعه تنازلات وتنازلات ، لأن أعداء هذا الدين لا يكتفون بالقليل من الداعية وقد حذر الله سبحانه نبيه -صلى الله عليه وسلم- من هذا الخطر فقال: ((فلا تطع المكذبين * وُدُّوا لو تُدَّهِنُ فَيُدْهِنُونَ)) [القلم: ٨-٩] ، والحقيقة التي ينبغي أن يعيش فيها أصحاب الدعوة إلى الله هي هذه الحقيقة التي لفنها الله لصاحب الدعوة الأولى -صلى الله عليه وسلم- وهي أن التكليف بهذه الدعوة تنزل من عند الله فهو صاحبها، وأن الحق الذي تنزلت به لا يمكن مزجه بالباطل الذي يدعو إليه الأثمون الكفار، فلا سبيل إلى التعاون بين حقا وباطلهم، أو الالتقاء في منتصف الطريق بين القائم على الحق والقائمين على الباطل، فهما منهجان مختلفان وطريقان لا يلتقيان، فأما حين يغلبه الباطل بقوته وجمعه على قلة المؤمنين وضعفهم ، لحكمة قضاها الله فالصبر حينئذ حتى يأتي الله بحكمه والاستمداد من الله والاستعانة بالدعاء والتسبيح ، وهما الزاد المضمون لهذا الطريق.

إنها حقيقة كبيرة لا بد أن يدركها ويعيش فيها رواد هذا الطريق فالمحاولات كثيرة التي حاول المشركون مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيها المساومة على الدعوة ، ولكن الله عصم منها رسوله ، وهي محاولات الطغاة مع أصحاب الدعوات دائماً ، محاولة إغرائهم لينحرفوا ولو قليلاً عن استقامة الدعوة وصلابتها ، ويرضوا بالحل الوسط الذي يغرونهم به في مقابل مغنم كثيرة ، ومن جملة الدعاة من يفتن بهذا عن دعوته لأنه يرى الأمر هيناً ، فأولئك لا يطلبون منه أن يترك دعوته كلياً ، إنما يطلبون تعديلات طفيفة ليلتقي الطرفان في منتصف الطريق.

ومن لوازم الصدق في الدعوة أن يحذر الداعية من الكذب على إخوانه المسلمين والدعاة المصلحين ، ومن ذلك إشاعة الأخبار قبل التحقق من صحتها واستخدام الأساليب الملتوية والمراوغات بحجة السياسة والمصلحة.. كل هذا لا يتفق وصدق الداعية وسلامة قلبه.

ومن لوازم الصدق في الدعوة إلى الله سبحانه أن يعتني كل مسلم منا بنفسه بالوسائل الشرعية للتربية ، وذلك في وسط بيئة صالحة معروفة بصحة الفهم وحسن القصد ، يتربى معها ، ويعد نفسه للتضحية في سبيل الله عز وجل وبذل المال والنفس في ذلك ، وأن يوطن نفسه لابتلاءات الطريق ومشاقه، التي هي سنة من سنن الله عز وجل لتمحيص الصفوف ، قال تعالى: ((ألم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)) [العنكبوت: ٢-٣] فلا يتبين الصادق في دعوته من الكاذب إلا بالابتلاء نسأل الله عز وجل العافية والصبر عند البلاء.

إن الداعية الذي يهمل نفسه فلا يرببها ويعدها للبيع على الله عز وجل يوشك أن ينهزم وتخذله نفسه عند أول هزة وأول اختبار ، مع أنه يحب لنفسه غير ذلك مما يعيشه في حال الرخاء والأمن من الحماس العاطفي والكلام الذي لا يجاوز التراقي ، يقول سيد قطب رحمه الله : «إن العقيدة وطريقها لشاقة بعيدة ، تنقاصر دونها الهمم الساقطة والعزائم الضعيفة ، إن تكاليف العقيدة هو جهد خطر ، تجزع منه الأرواح الهزيلة والقلوب الخاوية ، ولكنه الأفق الذي تتخاذل دونه النفوس الصغيرة والبيئة الهزيلة ، قال تعالى: ((لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة)) [التوبة: ٤٢] (٢).

وإنني بهذه المناسبة أوصي نفسي وإخواني الدعاة والمجاهدين أن لا نتكلم في أمر ، أو نقدم على موقف من مواقف الدعوة حتى تتوفر فيه الشروط التالية:

- ١- الاطمئنان التام أنه الحق الذي يحبه الله تعالى ، وإعداد النفس لتحمل تبعاته.
- ٢- الاطمئنان التام على أن القيام في هذا الأمر هو لله سبحانه وحده وابتغاء مرضاته.
- ٣- الاستعانة بالله وحده في تحقيق هذا الأمر والثبات عليه إذ لا قدرة للعبد لحظة واحدة بدون عون الله وتوفيقه.

إذن يا إخواني الدعاة: إن الأمر جد ليس بالهزل.

قد هيووك الأمر لو فطنت له
فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

الرسالة الثالثة إلى المربين في هذه الأمة:

أوصي نفسي وإياكم بما أوصى به الله سبحانه عباده المؤمنين ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)) [التوبة: ١١٩].

أيها المربون: إن التربية لها معنى أوسع من التعليم وتلقين المعلومات فالتربية هي الجهد الذي يبذله المربون في كل مجتمع من آباء ومعلمين وغيرهم في إنشاء الأجيال القادمة على أساس العقيدة التي يؤمنون بها ، ومنحهم الفرصة الكافية لتشرب معاني الدين والتضحية من أجله والاعتزاز به بين الأمم فالأمة الجادة هي التي تربي أبناءها طبقاً للعقيدة التي تدين بها الله تعالى ، وتسعى لنشرها بين الأمم ، حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله تعالى ، وهذه مهمة المربين في هذه الأمة فما أثقلها من تبعة ، وما أشرفها من رسالة.

ومن لوازم الصدق أيها المربون الكرام أن تصدقوا مع من ولاكم الله تربيتهم وتعليمهم ، وذلك بتعليمهم الخير ، وربطهم بأبطال هذه الأمة ورعيها الأول ، وتحذيرهم من الشر وأهله ، وتبصيرهم سبيل المجرمين وأفكارهم الخبيثة وتفنيدها والتحذير منها.

ومن لوازم الصدق في التربية إعداد المناهج الكريمة المستمدة من الكتاب والسنة، وفهم الصحابة وفقه الواقع الذي تعيشه الأمة، فعلى المسؤولين عن مناهج التعليم في المجتمعات المسلمة أمانة عظيمة وتبعة ثقيلة، فليصدقوا مع الله عز وجل في أمة محمد ص وأبنائها، فلا يختاروا إلا ما فيه الخير والإصلاح وتنشئة الأجيال على العقيدة الحقة والأخلاق السامية، وأن يردوا ويسقطوا كل ما من شأنه إفساد العقيدة والأخلاق والأفكار والههم ، فنحن أمة ذات رسالة عظيمة خالدة ينبغي للناشئة أن يدركوا رسالة أمتهم ، وأنها خير أمة أخرجت للناس.

أيها المربون من آباء ومعلمين: إن الله سبحانه سائلكم عما استرعاكم فأعدوا للسؤال جواباً ((واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله)) [البقرة: ٢٨١] تذكروا أثر العمل الطيب، والسنة الحسنة حين تسري في الأمة وينتشر الخير بسببها، فتنالوا أجر ذلك عن كل من تأثر به، والعكس بالعكس والعياذ بالله تذكروا أثر العمل السيئ والسنة السيئة حين تسري في أبناء الأمة ويتربون عليها فستنالوا وزر ذلك ووزر من تأثر به نعيذكم بالله من هذا المال، وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم- «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها» (٣).

ومن لوازم الصدق في التربية: أن يربط الآباء والطلاب في حياتهم بالأهداف العالية النبيلة، ولا يربطون بالتوافه من الأمور والأهداف الهابطة لأن النظرة السائدة اليوم في أكثر بيوت المسلمين ومدارسهم: أن طلب العلم قد ربط بالمصلحة الدنيوية ، وأنها وسيلة للعيش ولا يوجد في جو المنزل أو جو المدرسة إلا من رحم الله من يقول للمترابي إن لك أمة تنتظرك، وأن لك دوراً ينتظرك في الدعوة إلى التوحيد وهداية الناس بإذن الله تعالى والجهد في سبيله عز وجل والذود عن حمى الأمة وعقيدتها، إن هذا النوع من التربية قليل، فعلى المربين الصادقين مع ربهم سبحانه أن يحيوا هذه المعاني عند إخوانهم المربين ويصبغوا بها المناهج المعدة لذلك، وينشروها في صفوف

أبنائهم وطلابهم حتى يخرج جيل قوي متماسك يشعر بانتمائه لهذا الدين، ويشعر بمسؤوليته ليتولى هو بدوره إكمال الطريق، وتربية الأجيال التي تأتي بعد ذلك.

وبقيت كلمة أخيرة أوصي بها نفسي وإخواني الآباء، ألا وهي الصدق مع الله سبحانه في جعل البيت محضناً من محاضن التربية الكريمة للأبناء والبنات والإخوان والأخوات والزوجات، وذلك بعمارته بذكر الله عز وجل ووجود القدوة الصالحة، وتطهيره من أسباب الرجس والفساد، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته.. إن العجب كل العجب من أناس أنعم الله عليهم بنعمة الأموال والأولاد، ثم هم يخربون بيوتهم بأيديهم ويلقون بأنفسهم وأهليهم إلى النار، والله تعالى يقول: ((يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة)) [التحريم: ٦].

إن أحدنا لو رأى ابنه أو ابنته أو أخاه أو أخته أو زوجته يتعرض أحدهم لهلاك في الدنيا بحريق أو غرق أو سقوط من شاهق، لهب مسرعاً لإنقاذه وإن لم يكن قريباً منه صاح به محذراً من السقوط في المهلكة، وإن الله سبحانه يحذرنا من نار تلتظي لا تأتي نار الدنيا عندها إلا جزءاً من سبعين جزء منها ومع ذلك لا يتحرك الكثير منا في إنقاذ نفسه وأهله منها ((قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفتقون)) [التوبة: ٨١].

الرسالة الرابعة إلى الإعلاميين في هذه الأمة:

أوصي نفسي وإياكم بما أوصى به عباده المؤمنين سبحانه عز من قائل: ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)) [التوبة: ١١٩].

أيها المؤمنون من إعلاميي هذه الأمة: إنني أخاطب فيكم عقيدتكم الإسلامية، التي تحملونها بين جوانحك التي تحدد هويتكم بين بني البشر وترفع رؤوسكم بين بني الإنسان، أخاطب فيكم غيرتكم الإسلامية ومروءتكم العربية، وأخلاقكم العريقة التي تميز المسلم عن غيره، أخاطب فيكم الأمانة العظيمة التي حملكم الله إياها من خلال مسؤولياتكم الخطيرة التي تتولونها أخاطب فيكم المسؤولية التي أناطتها الأمة بكم لتربوا أبناءها على الإيمان الصادق والعفة والطهارة والعزة والكرامة.

أيها الإعلاميون المؤمنون على عقيدة الأمة وأخلاقها: اصدقوا مع ربكم سبحانه في الوفاء بما عهد إليكم ((وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً)) [الإسراء: ٣٤]، ((ولا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون)) [الأنفال: ٢٧].

واصدقوا مع أمتكم المسلمة التي أمنتكم دينها وأعراضها وعقولها وأفكارها، فلا تخونوا أمتكم، وكونوا عند حسن ظنها بكم.

إن إعلام أي أمة يعبر عن عقيدتها وهويتها، وإذا أردنا أخذ صورة سريعة عن أي أمة أو مجتمع، فلننظر إلى إذاعتها وتلفازها وصحفها وما ينشر فيها فإن ذلك يدلنا على ما يقوم عليه هذا المجتمع من عقيدة وأخلاق.

إن لكل أمة هوية، فأين هويتنا الإسلامية في كثير من إعلام دولنا؟!!

إن الإسلام ليس كلمة فحسب، ليس عقيدة مستكنة في القلب فحسب بل الإسلام هو الاستسلام لله عز وجل وحده في جميع شؤون الحياة، قال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة)) [البقرة: ٢٠٨].

هذا هو الإسلام الذي جاء من عند الله عز وجل، وإن الناظر في إعلام المجتمعات المسلمة اليوم ليرى ازدواجية وانحرافاً، وهذا يعني أحد أمرين:

١- أن يكون هناك جهل بحقيقة هذا الدين، وأنه بالإمكان أن يكون المرء مسلماً بقلبه ولسانه فقط ثم يفعل بعد ذلك ما يشاء ويعمل ما يحلو له أن يعمل مادام أنه ينطق بالشهادتين، فالهوية التي

يحملها هي الإسلام وهذه عقيدة المرجئة التي أفسدت في الأرض ودخل من خلالها العلمانيون الذين يفصلون الدين عن الحياة، ويجعلونه عقيدة مستكنة في الضمير وبين جدران المساجد فحسب!!
 ٢- أو أن حقيقة الدين ومفهومه الواسع واضحة في أذهان القوم ، ولكنهم آثروا الحياة الدنيا ومناصبها وزخرفها على مرضاة الله سبحانه وتعالى والدار الآخرة ، فاشتروا الحياة الدنيا الفانية بالدار الآخرة الباقية فما أشد خسارتهم وأكسد تجارتهم ، ألا ذلك هو الخسران المبين.
 ثم ماذا سيكون جوابك إذا حاکمتك الأمة بأسرها على ما قدمت لها من كلمة مسموعة أو مرئية أو مقروءة يوم تكون سبباً في إضلال أبنائها ، أناشدك بما معك من الإيمان بالله واليوم الآخر أن لا تغفل عن هذا اليوم الرهيب ، فوالله إنه لقريب: ((وما يدريك لعل الساعة قريب * يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي شقاق بعيد)) [الشورى: ١٨].

وبعد: هذا ما يسر الله سبحانه كتابته حول هذا الموضوع، عسى الله أن ينفع به كاتبه وقارئه في الدنيا والآخرة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

الهوامش:

(١) سير أعلام النبلاء ٢٤١/١١.

(٢) طريق الدعوة ، ج ١ ، ص ٩٦.

(٣) صحيح مسلم (كتاب الزكاة ح/١٠١٧)

سيصدر هذا الموضوع بحلقاته السابقة مع زيادات في رسالة مستقلة إن شاء الله في الحلقة السادسة من «دراسات تربوية في ضوء القرآن للكاتب».

دراسات اقتصادية

الإسلام والقضايا الاقتصادية المعاصرة المشكلة الاقتصادية وعلاجها من المنظور الإسلامي

-٤-

د. محمد بن عبد الله الشباني

في الحلقة السابقة ناقشنا علاقة التوزيع بعناصر الإنتاج ، وبالتحديد دور عنصر العمل باعتباره أهم عناصر الإنتاج تأثيراً في وجود المشكلة الاقتصادية وكيفية معالجة الإسلام لعنصر العمل من ناحية أهميته النسبية من العملية الإنتاجية ، و في هذه الحلقة سوف نتطرق إلى مناقشة عنصر الموارد الطبيعية باعتباره عنصراً من عناصر الإنتاج وعلاقة هذا العنصر بتوزيع الدخل القومي وتأثيره على بروز المشكلة الاقتصادية ، ومعالجة الإسلام لهذا العنصر من عناصر الإنتاج.
 يقصد بالموارد الطبيعية وفقاً للمفهوم الاقتصادي: كل ما على سطح الأرض من تربة وبحار وأنهار، وما فوقها من ضوء ورياح، وما في جوفها من ثروات معدنية ، إن هذا العنصر من عناصر الإنتاج هو مجال الاستغلال وهو الذي يمارس الإنسان دوره فيه من خلال العمل للاستفادة مما أودع الله في أرضه وسمائه من رزق لسد حاجات الإنسان.

الموارد الطبيعية والاقتصاد:

وعلاقة الموارد الطبيعية بالمشكلة الاقتصادية تتمثل في مدى الاستفادة مما في الأرض من خيرات ، وتحريك بقية عناصر الإنتاج لاستغلال هذه الموارد. إن عدم استغلال الموارد الطبيعية المتاحة بأسلوب اقتصادي سليم يحقق النفع العام وتيسير حاجات الأفراد يساعد على بروز المشكلة الاقتصادية، فأهمال الموارد الطبيعية وعدم استغلالها يؤدي إلى تعطل بقية عناصر الإنتاج الأخرى مما يساعد على تفاقم المشكلة الاقتصادية كما أن أسلوب الاستغلال للموارد الطبيعية وعدم مراعاة التوازن عند الاستغلال يؤدي إلى استنزاف الموارد أو إهدارها وبالتالي تفاقم المشكلة الاقتصادية أيضاً.

قواعد وضوابط:

لقد وضع الإسلام قواعد وأرشد إلى مناهج في كيفية استغلال الموارد الطبيعية بالشكل الذي يخدم اقتصاديات المجتمع ، ويحقق التوازن في استغلال الموارد الطبيعية ، ويزيل ويبعد الوسائل المسببة لإهدار الموارد مما يقلل من تأثير عنصر الموارد الطبيعية في تفاقم المشكلة الاقتصادية. وترتكز القواعد التي عالج بها الإسلام عنصر الموارد الطبيعية على نظريته بأن ما في السموات والأرض قد سخر لمصلحة الإنسان ومعاشه ، وأن على الإنسان أن يبذل طاقته للاستفادة مما وهبه الله من موارد خلقت لتوفر احتياجات الإنسان المادية ، ويمكن تحديد القواعد التي يأمر الإسلام بتبنيها عند معالجته لعنصر الموارد الطبيعية في الأمور التالية:

أولاً: الحث على استغلال الموارد المعطلة بتوجيه ولاة أمر المسلمين بالتدخل بوضع القواعد والضوابط المؤدية إلى استغلال الموارد المعطلة فقد روى أبو داود عن عبيد الله بن حميد بن عبد الرحمن الحميري أن عامر الشعبي حدثه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «من وجد دابة قد عجز عنها أهلها أن يعلفوها فسيبوها فأخذها فأحياها فهي له» (١) ، وهذا الحديث يرشد إلى عدم ترك الموارد المعطلة بدون استغلال ، وإن للمجتمع المسلم الحق في التدخل في استغلال هذه الموارد المعطلة حتى ولو كانت ملكيتها ملكية فردية ، وعلى ضوء هذا الحديث يمكن أن تقوم الدولة المسلمة بوضع القواعد الإجرائية فيما يتعلق بالمنشآت الصناعية، أو الزراعية، أو غيرها من الأصول الثابتة المنتجة عند عجز ملاكها عن تشغيلها بالتدخل بتشغيلها؛ لأن هذا الإجراء سوف يؤدي إلى التقليل من تفاقم المشكلة الاقتصادية وذلك باستمرار الإنتاج واستغلال القوى العاملة في هذه المشاريع وعدم تعطلها، وبالتالي الحد من إهدارها، وحقيقة المشكلة الاقتصادية في العالم الإسلامي تكمن في عجز الدول الإسلامية عن ممارسة دورها في استغلال الموارد الطبيعية، بل إن إهدار الموارد الطبيعية هو السمة البارزة في الممارسات الاقتصادية لمعظم الدول الإسلامية. ثانياً: منح الامتياز إذا وجدت علاقة ما بين الموارد الطبيعية وحاجة الناس لفئة من فئات المجتمع على حساب الفئات الأخرى: فالموارد الطبيعية التي يحتاج إليها الناس وهي ميسره وفي متناول الجميع لا يحق لشخص امتلاكها وليس للدولة إعطاء حق الامتياز لشخص أو فئة وبالتالي احتكار منافعها، فحبس مورد طبيعي يحتاج إليه الناس وجعله في أيدي فئة معينة من الناس من الأمور المسببة لوجود المشكلة الاقتصادية سواءً بتعطيل الاستفادة من هذا المورد أو من خلال احتكاره وحرمان فئات من الناس من الاستفادة منه لعدم قدرتهم على دفع الثمن المطلوب لقاء حق الامتياز أو الإقطاع، ولكن حق منح الامتياز والإقطاع موكول إلى ولي الأمر ضمن احتياج المورد الطبيعي حتى يمكن استغلاله، أي أن المورد الطبيعي بطبيعته التي خلقها الله عليها يحتاج إلى جهد ومال للاستفادة منه، منع الامتياز إنما يعود إلى الموارد الطبيعية الظاهرة التي يمكن لجميع الناس الاستفادة منها مثل الملح أو الكلاً أو التراب أو الرمال وغير ذلك من الأمور الظاهرة على وجه الأرض، التي يمكن للناس الاستفادة منها مباشرة، وقد أوضح الرسول عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن

ماجه عن ثابت بن سعيد عن جده أبيض بن حمال: «أنه استقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم - الملح الذي يقال له ملح سدّ بمأرب فأقطعه له ، ثم إن الأقرع بن حابس التميمي أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله إني قد وردت على الملح في الجاهلية وهو بأرض ليس بها ملح ومن ورده أخذه ، وهو مثل الماء العذّ ، فاستقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-أبيض بن حمال في قطيعة في الملح فقال أبيض: قد أقلتكَ منه على أن تجعله مني صدقة فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- هو منك صدقة، وهو مثل الماء العذّ من ورده أخذه»(٢). وروي ابن ماجة بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المسلمون شركاء في ثلاث في الماء والكلاء والنار وثمره حرام»(٣) وفي رواية أخرى لابن ماجة بسنده عن أبي هريرة «ثلاث لا يمنعن الماء والكلاء والنار»(٤) ، فمن جملة هذه الأحاديث يتضح مراعاة حاجة الناس الظاهرة البارزة للمورد الطبيعي، وأن الحاجة العامة للمورد الطبيعي تمنع ولي الأمر من منح امتياز له لأي فئة من الفئات حتى لا يؤدي ذلك إلى إحتكاره والإضرار بالناس والتأثير على عرض هذه المادة التي يستفاد من أخذها من المورد الطبيعي مباشرة، حيث إن منح حق امتياز استغلالها لفئة من الناس أو إقطاعها لفئة من الناس أو لشخص أو لأشخاص سيؤدي إلي قلة العرض، وارتفاع سعرها وعجز الناس عن تملكها مع حاجتهم الماسة إليها وشرائها من محتكرها الممنوح له حق امتيازها.

ثالثاً: تدخل الدولة المباشر باستغلال الموارد الطبيعية غير المستغلة وفق خطط إنتاجية استثمارية يضعها ولي الأمر وفق الظروف والمعطيات المتوفرة وبأسلوب يدفع أفراد الأمة لاستغلال هذه الموارد الطبيعية المعطلة ، أي أن من السياسات التي يحبذها الإسلام عدم العمل المباشر في استغلال المورد الطبيعي وإنما العمل على تشجيع الأفراد باستغلال مدخراتهم، وبالتالي المساهمة في حل المشكلة الاقتصادية من خلال قيام الدولة في توفير رأس المال الخاص باستغلال الموارد الطبيعية وتوفير الظروف للقوى العاملة في المساهمة في استغلال هذه الموارد، فقد أخرج البخاري مرسلًا عن قيس بن مسلم عن أبي جعفر قال: «ما بالمدينة أهل بيت هجرة إلا يزرعون على الثلث والرابع وزارع على وسعد بن مالك وعبد الله ابن مسعود وعمر بن عبد العزيز والقاسم وعروة وآل أبي بكر وآل عمر وآل علي وابن سيرين ، وقال عبد الرحمن بن الأسود كنت أشارك عبد الرحمن بن يزيد في الزرع ، وعامل عمر الناس على إن جاء عمر بالبذر من عنده فله الشطر وإن جاؤوا بالبذر فلهم كذا»(٥)، ومن هذا الحديث ندرك السياسة التوزيعية لعناصر الإنتاج، التي تقوم علي العمل على دفع عوامل الإنتاج الأخرى لتحقيق التوازن بين مختلف عناصر الإنتاج، وتوزيع الدخل القومي بين هذه العناصر لمعالجة جانب الإنتاج في المشكلة الاقتصادية.

رابعاً: استغلال الموارد الطبيعية من خلال تدخل ولي الأمر في إعادة توزيع الفائض من الاستغلال عن طريق وضع التنظيمات الخاصة والقواعد المنظمة التي تساعد على الاستفادة من مكونات الناتج القومي مع مراعاة حقوق التملك الخاصة وذلك بالتدخل لتحقيق المصلحة العامة لزيادة الناتج القومي والإقلال من تأثير العناصر المرتبطة بالموارد الطبيعية من التأثير في إيجاد المشكلة الاقتصادية واستفحالها ، ولقد أوضح الرسول عليه الصلاة والسلام الجوانب في كيفية تحقيق ذلك من خلال التوجيه النبوي للأمة فمن ذلك ما رواه البخاري وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- «لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلاً» وفي لفظ ابن ماجة «لا يمنع أحدكم فضل ماء ليمنع به الكلاً»(٦). كما أوضح الحديث الآخر الذي رواه ابن ماجة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم- عن بيع فضل الماء وفي رواية له «لا يمنع فضل الماء ولا يمنع نقع البئر»(٧) ونقع البئر هو الزائد من مائها أو المجتمع، فمن هذه الأحاديث يمكن فهم التوجيه النبوي في معالجة الاستفادة منها عند عدم توفر

المياه ، وبالتالي فإنه في حالة وجود بئر مملوكة لفرد فإن عليه أن يمنح الرعاة ما زاد عن حاجته حتى يمكن الاستفادة من الكلاً في المناطق المتاخمة للبئر ، كما قد يفهم أنه في حالة توفر مياه زائدة عن حاجة مالك لبئر، فإن عليه أن يمنح ما زاد عن حاجته في زراعته إلى الآخرين ممن لا يوجد لديهم الماء، وهذا يؤدي إلى قيام الأفراد باستغلال الأراضي المجاورة لمن يتوفر لديه الماء مع مراعاة عدم الإضرار بمالك البئر، وهذا ينطبق في حالة تعطل وسائل رفع الماء لدى أحد المزارعين مما قد يحتاج إلى ما زاد عن ماء جاره حتى لا يخسر إنتاجه ويمكن القياس على ذلك فيما يتعلق ، في حالة تعطل مورد من الموارد الطبيعية عن الاستغلال وإمكانية استغلال هذه الموارد ولو بالتدخل في تنظيم استغلال الزائد من الموارد الطبيعية.

الهوامش:

- (١) سنن إبي داود كتاب البيوع ، صحيح سنن أبي داود ح/٣٠٠٩ ج٢ ص٦٧ .
- (٢) سنن ابن ماجه كتاب الرهون ، باب إقطاع الأرض والعيون ، ح/٢٤٧٥ ، صحيح سنن ابن ماجه ح/٢٠٠٦ ج٢ ص٦٤ ، وحسنه الألباني .
- (٣) سنن ابن ماجه كتاب الرهون ، باب (المسلمون شركاء في ثلاثة) ، ح/٢٤٧٢ ، صحيح ابن ماجه ج٦٤/٢ ح/٢٠٠٤ ، قال الألباني صحيح دون "ثمنه حرام" .
- (٤) ابن ماجه، كتاب الرهون، (باب المسلمون شركاء في ثلاثة «ح/٢٤٧٣ ، صحيح ابن ماجه ح/٢٠٠٥ ج ٦٤/٢ .
- (٥) أخرجه البخاري ، كتاب الحرث والمزارعة - باب المزارعة بالشرط ونحوه وأشار ابن حجر إلى أنه موصول من طريق أخرى .
- (٦) البخاري كتاب الأشربة ح/٢٣٥٣ ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج٥ ص٣٩ .
- (٧) أخرجه ابن ماجه كتاب الرهون، باب النهي عن بيع فضل الماء، ح/٢٤٧٩، وصححه الألباني، صحيح ابن ماجه ح/٢٠١٠، ج ٢ ص٦٥ .

خواطر في الدعوة الفرج بعد الشدة

محمد العبد

هذا العنوان من الكلام المحبب عن الأقدمين، وقد ألفوا فيه الكتب وجمعوا حوله الفصول، ترى لماذا هذا الاهتمام، وأي باعث للكتابة في هذا الشأن؟ لاشك أن الشدائد التي لاقاها المسلمون وخاصة ما بعد القرن الرابع هي السبب في هذا، سواءً أكانت شدائد داخلية من الظلم وأكل أموال الناس بالباطل، أو كانت خارجية مما أصاب العالم الإسلامي من الغزو الخارجي المدمر، وهذا ما حدا بالقاضي التنوخي أن يكتب المجلدات حول (الفرج بعد الشدة). إن ما ابتلي به المسلمون في السنوات الأخيرة من الحيف الواقع بهم والحرب الإعلامية الحاقدة التي تشن عليهم صباح مساء، ما يجعل هذا العنوان محبباً إلى المسلم المعاصر أيضاً، ويجعله يردد مع الشاعر:

فاصطبر ، وانتظر بلوغ مداها فالرزايا إذا توالى تولت

إننا لا نستطيع الإغراق في التفاؤل، وربما لأن الأمور لم تبلغ مداها بعد وخاصة من جانب الصبر والإعداد المطلوب من المسلم ولكن مما يبشر بخير أن المسلمين رغم الواقع الأليم قد أصبحوا رقماً

صعباً في المعادلة السياسية الداخلية والدولية، وعاد بعض أشد الأعداء ليقول: يجب أن نتعايش مع هؤلاء ، ونفكر بطريقة عقلانية للتفاهم معهم... وشيء آخر وهو هذه الحرب الإعلامية التي نرى فيها السُمّ النافع ، لهي دليل على تعاضم قوة الإسلام وشعور الأعداء بالخطر من جهته. عندما يستطيع المسلمون الوصول إلى نقطة (الخرج) مع أعدائهم، فمعنى هذا أن كفة الميزان بدأت تميل لصالحهم، فكفار مكة عندما شعروا بالخطر بدأوا بوضع العراقيل أمام هجرة المسلمين، فمرة يحجزون أموالهم، ومرة يحجزون زوجاتهم وأولادهم، ودبروا قتل الرسول -صلى الله عليه وسلم- أو إخراجهم أو سجنه ، وعندما علموا بهجرته تشنجت أعصابهم ووضعوا الجوائز لمن يأتي به حياً أو ميتاً ولكن من رحمة الله بعباده أن لا يوصلهم إلى مرحلة اليأس والطريق المسدود ، فيذلوا وينكسروا ، وقد قال تعالى: ((إن مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً)) [الشرح: آية ٦] ، وقد جاء في تفسيرها: لن يغلب عسر واحد يسرين، ومن ظن أن الله يسلط أعداءه على رسله تسليطاً دائماً، فقد ظن ظن السوء، كما يقول العلامة ابن القيم رحمه الله، فهل يتقدم المسلمون خطوة أو خطوات حتى يستحقوا (الفرج بعد الشدة) وينطبق عليهم قوله تعالى: ((وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا ، فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين * ولنسكنكم الأرض من بعدهم ، ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد)) [ابراهيم: ١٣-١٤].

دراسات تاريخية

عبد الله بن سبأ

في ميزان البحث العلمي

- ١ -

د. محمد أمحزون

تمهيد:

موضوع «عبد الله بن سبأ والسبئية» أحد الأبحاث التي تطرق إليها بالدراسة الكثير من الباحثين من المسلمين والمستشرقين ، ومن أهم الدراسات في هذا الباب بحث الدكتور سليمان بن حمد العودة بعنوان «عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام» وبحث «عبد الله بن سبأ بين الحقيقة والخيال» د. سعدي الهاشمي ، وبحث الأستاذ أحمد عرفات القاضي بعنوان «إنكار ابن سبأ نقش على الماء» (١).

وهذه الدراسة للدكتور (محمد أمحزون) مناقشة بحث جديد حول الموضوع نفسه لباحث لم يأت بجديد وإنما هو نقل عن الباحثين حول تلك الشخصية، والناقد (الكاتب) أحد المتخصصين في دراسة التاريخ ، وعضو هيئة التدريس في جامعة «مكناس» بالمغرب (قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية).

-البيان-

هذه الدراسة نقد للبحث الذي نشره د. عبد العزيز الهلابي أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة الملك سعود، في حوليات كلية الآداب الكويتية عن عبد الله بن سبأ، تدخل في مجال اهتمامات التاريخ الإسلامي، وقد قام فيه المؤلف بتحليل روايات الإخباري سيف بن عمر التميمي عن دور عبد الله بن سبأ في أحداث الفتنة الواقعة في خلافة عثمان وعلي رضي الله عنهما حيث انتهى بحثه إلى أن

تلك الروايات مختلفة ولا أساس لها من الصحة!! ثم أورد النصوص عن «السبئية» في بعض المصادر المتقدمة فأوضح أنه من خلال استخدامها في تلك المصادر لا تعني جماعة لها عقيدة دينية أو مذهب سياسي محدد، وأنها أطلقت على أناس مختلفين، وكان يقصد بها في كل الأحوال الذم والتعيير ، وبعد أن ناقش أقوال الباحثين المعاصرين وآراءهم من عرب ومستشرقين خلص في بحثه إلى أن ابن سبأ شخصية وهمية، وأن الدور المنسوب إليه في إثارة الأحداث وتسييرها دور مزعوم. إن هذا البحث الذي كتبه د. الهلابي يعتبر أحدث دراسة مستقلة أفردت عن عبد الله بن سبأ ولذلك أحببت إبداء بعض الملحوظات حول الآراء التي تبناها حيث نفى في بحثه وجود تلك الشخصية، وأن ابن سبأ في رأيه لا يعدو أن يكون مجرد خرافة سطرتها كتب التاريخ والفرق!! ومن الملحوظات على هذه الدراسة ما يلي:

أولاً سيف بن عمر لم ينفرد بالرواية:

يقول د. الهلابي في ص(١٣) من بحثه: «ينفرد الإخباري سيف بن عمر التميمي من بين قدامى الإخباريين والمؤرخين بذكر تلك الشخصية في رواياته ، ويجعل له دوراً رئيساً في التحريض على الفتنة، وقتل الخليفة عثمان وإنشابه القتال في معركة الجمل في البصرة»(٢). في الواقع أن سيف بن عمر لم يكن المصدر الوحيد الذي استأثر بأخبار عبد الله بن سبأ ، بل ورد ذكر أخبار ابن سبأ وطائفته منقولة عن علماء متقدمين ورواة غير سيف بن عمر مثل:

* سويد بن غفلة أبو أمينة الجعفي الكوفي المتوفى عام (٨٠ هـ / ٦٩٩ م) ، مخضرم ثقة، من أصحاب علي رضي الله عنه(٣) جاء في «طوق الحمامة» لحيي بن حمزة الزبيدي وفي «اللفظ» للبرقاني أنه دخل على علي في إمارته فقال: «إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر، يرون أنك تضمّر لهما مثل ذلك ، منهم عبد الله بن سبأ ، فقال علي: مالي ولهذا الخبيث الأسود، ثم قال: معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل ، ثم أرسل إلى ابن سبأ فسيّره إلى المدائن ، ونهض إلى المنبر حتى إذا اجتمع الناس أثنى عليهما خيراً ، ثم قال: أو لا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفترى(٤).

* زيد بن وهب الجهني أبو سليمان الكوفي المتوفى قبل عام (٩٠ هـ / ٧٠٩ م) ، روى عن علي بن أبي طالب ، وهو من جلة التابعين ، متفق على الاحتجاج به ، أخرج ابن عساکر في «تاريخ دمشق» عنه قال: «قال علي بن أبي طالب: مالي ولهذا الخبيث الأسود ، يعني عبد الله بن سبأ ، وكان يقع في أبي بكر وعمر»(٥).

* إبراهيم بن يزيد النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه الثقة المتوفى عام (٩٦ هـ / ٧١٤ م)(٦). روى ابن سعد في «طبقاته» أن رجلاً كان يأتيه فيتعلم منه ، فيسمع قوماً يذكرون أمر علي وعثمان ، فقال: أنا أعلم من هذا الرجل وأرى الناس مختلفين في أمر علي وعثمان ، فسأل إبراهيم النخعي عن ذلك فقال: «ما أنا بسبأ ولا مرجئ»(٧).

* الشعبي عمر بن شراحيل الحميري اليميني المتوفى عام (١٠٣ هـ / ٧٢١ م) ، من رواة الأنساب والأخبار الثقات(٨). أخرج عنه ابن عساکر في «تاريخ دمشق» قال: «أول من كذب عبد الله بن سبأ»(٩).

* سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي المدني المتوفى عام(١٠٦ هـ / ٧٢١ م)، كان أحد فقهاء التابعين ، ثبتاً فاضلاً (١٠) ، روى يعقوب بن سفيان الفسوي في كتابه «المعرفة والتاريخ» قال: «قال أبو الوليد: سألتني سالم بن عبد الله بن عمر: ممن أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة، فقال: بسئ القوم بين سبأ وحروري»(١١).

* أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي الصحابي المعمر المتوفى عام (١١٠هـ/٧٢٨م)، روى عن علي بن أبي طالب، قال فيه الحافظ الذهبي: وبه ختم الصحابة في الدنيا (١٢). أخرج ابن عساكر عنه قال: «رأيت المسيب بن نجبة أتى به ملبه، يعني ابن السوداء، وعلي على المنبر، فقال علي: ما شأنه؟ فقال: يكذب على الله ورسوله (١٣).

* حُجَّية بن عدي الكندي أبو الزعراء الكوفي، روى عن علي وجابر وهو من الطبقة الثالثة (١٤). ذكر ابن عساكر عنه أنه رأى علياً على المنبر، وهو يقول: من يعذرني من هذا الحميت الأسود الذي يكذب على الله ورسوله يعني ابن السوداء (١٥).

* أبو الجلاس الكوفي، روى عن علي بن أبي طالب، من الطبقة الثالثة (١٦). نقل ابن عساكر عنه قال: «سمعت علياً يقول لعبد الله بن سبأ: ويلك! والله ما أفضي إليّ بشيء كتمته أحداً من الناس، ولقد سمعته يقول: إن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً وإنك لأحدهم (١٧).

* قتادة بن دعامة السدوسي المتوفى عام (١١٧هـ/٧٣٥م)، من ثقات التابعين وحفاظهم، روى عن أبي الطفيل وأنس بن مالك، كان آية في الحفظ والرواية (١٨). نقل الإمام الطبري في تفسير قوله: «وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية ((فأما الذين في قلوبهم زيغ...)) قال: إن لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدري» (١٩).

* أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي المتوفى عام (١٥٧هـ/٧٧٣م) (٢٠). نقل الإمام الطبري عنه في «تاريخه» رواية يصف فيها أشرف أهل الكوفة لخصومهم من أصحاب المختار بالسبئية (٢١).

ثانياً الموهوم لا يدفع المعلوم:

يقول المؤلف: «لا أعلم فيما اطّلت عليه من المصادر المتقدمة أي ذكر لعبد الله بن سبأ عند غير سيف بن عمر سوى رواية عند البلاذري» (٢٢).

إن المصادر المتقدمة التي اطّلع عليها د. الهلابي إذا كانت أغفلت موضوع ابن سبأ والسبئية، فلا يعني ذلك بالضرورة أنه شخصية خرافية، إذ إن عدم ذكرها له لا يقوم دليلاً على الإنكار أو التشكيك، فهل استوعبت تلك المصادر كل أحداث التاريخ الإسلامي حتى نقف وقفة المنكر أو المتشكك إذا لم تذكر شيئاً عن ابن سبأ؟! وهل من شروط صحة الرواية التاريخية تضافر كل كتب التاريخ على ذكرها؟! ثم هل نسي د. الهلابي أن المصادر القديمة ضاع كثير منها فأصبحت مفقودة أو في حكم المفقود، حيث ضاع كثير من مؤلفات الزهري وابن إسحاق والواقدي والمدائني وابن شبّه والأصمعي والهيثم بن عدي وعروة بن الزبير وغيرهم، إلا ما استوعبته بعض المصنفات الموسوعية كتاريخ الطبري مثلاً؟

ومن هنا ينبغي الرجوع إلى الأمر المعلوم المحقق للخروج من الشبهات والتوهّمات، إذ إن الموهوم لا يدفع المعلوم، و المجهول لا يعارض المحقق فشخصية ابن سبأ وجماعته حقيقة تاريخية يتفق عليها كثير من المصادر المتقدمة غير البلاذري.

جاء ذكر السبئية على لسان أعشى همذان المتوفى عام (٨٣هـ/٧٠٢م) وقد هجى المختار وأنصاره من أهل الكوفة بقوله:

شهدت عليكم أنكم سبئية وأنى بكم يا شرطة الكفر عارف (٢٣)

وجاء ذكر السبئية في كتاب «الإرجاء» للحسن بن محمد بن الحنفية المتوفى عام (٩٥هـ/٧١٣م)، الذي أمر بقراءته على الناس وفيه: «... ومن خصومة هذه السبئية التي أدركنا، إذ يقولون هدينا لوجي ضل عنه الناس» (٢٤).

وفي الطبقات لابن سعد المتوفى عام (٢٣٠هـ/٨٤٤م) ورد ذكر معتقدات السبئية وأفكار زعيمها، فعن عمرو بن الأصم قال: قيل للحسن بن علي: إن أناساً من شيعة أبي الحسن علي عليه السلام

يزعمون أنه دابة الأرض، وأنه سيبعث قبل يوم القيامة، فقال كذبوا، ليس أولئك شيعته أولئك أعداؤه، لو علمنا ذلك ما قسمنا ميراثه ولا أنكحنا نساءه...» (٢٥). علماً بأن ما ذكر في هذا النص لا يخرج عما جاء به ابن سبأ من آراء، وأكده علماء الفرق والنحل والمؤرخون في كتبهم (٢٦).
وتحدث ابن حبيب المتوفى عام (٢٤٥هـ/٨٦٠م) عن ابن سبأ حينما اعتبره أحد أبناء الحبشيات (٢٧)، كما روى أبو عاصم خشيش بن أصرم المتوفى عام (٢٥٣هـ/٨٥٩م) خبر إحراق علي رضي الله عنه لجماعة من أصحاب ابن سبأ في كتابه «الاستقامة» (٢٨).
وفي «البيان والتبيين» للجاحظ المتوفى عام (٢٥٥هـ/٨٦٨م) رواية تشير إلى عبد الله بن سبأ (٢٩)، كما ذكر الجوزجاني المتوفى عام (٢٥٩هـ/٨٧٣م) وهو من علماء الجرح والتعديل، أن من مزاعم عبد الله ادعاءه أن القرآن جزء من تسعة أجزاء، وعلمه عند علي، وأن علياً نفاه بعد ما كان هم به» (٣٠).

ويقول ابن قتيبة المتوفى عام (٢٧٦هـ/٨٨٩م) في «المعارف»: «السبئية من الرافضة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ» (٣١).

ويذكر البلاذري المتوفى عام (٢٧٩هـ/٨٩٢م) ابن سبأ في جملة من أتوا إلى علي رضي الله عنه يسألونه عن رأيه في أبي بكر وعمر، فقال لهم: أوتقرغتم لهذا؟ وحينما كتب علي الكتاب الذي أمر بقراءته على أنصاره كان منه عند عبد الله بن سبأ نسخة عنه فحرفها» (٣٢).
وأورد الناشيء الأكبر المتوفى عام (٢٩٣هـ/٩٠٥م) عن ابن سبأ وطائفته ما يلي: «وفرقه زعموا أن علياً عليه السلام حي لم يموت، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، وهؤلاء هم السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان عبد الله بن سبأ رجلاً من أهل صنعاء، يهودياً... وسكن المدائن» (٣٣).

ثالثاً السبئية في المصادر وليست للذم والتعير فقط:

بعد أن ذكر المؤلف نصوصاً نثرية وشعرية ورد فيها ذكر السبئية، قال: «وبناءً على هذا فلا يمكن الاستنتاج من النصوص السابقة أن السبئية تعني فئة لها هوية سياسية معينة، أو مذهب عقائدي محدد، ولكن المؤكد أنها عندما تطلق على قوم يقصد بها الذم والتعير» (٣٤).
إن هذا الاستنتاج للباحث لا يخلو من المغالطة والتمويه، فهو يحاول جاهداً التشكيك في السبئية إلى حد جعله يتأولها مجرد كلمة تستعمل للسبب والذم!!
إني لأكاد أدهش حين يقول ذلك، وهو نفسه يذكر نصاً شعرياً للفرزدق (٣٥) فيه إشارة واضحة إلى ابن سبأ اليهودي الأصل، الهمداني اليميني المنشأة.

تعرف همدانية سبئية وتكره عينيها على ما تنكرا

ولو أنهم إذا نافقوا كان منهم يهوديهم كانوا بذلك أعذرا

على أن وجود عبد الله بن سبأ وارتباط السبئية به مما أطبقت عليه المصادر، فذكرته كتب التاريخ والحديث والطبقات والرجال والأنساب والأدب واللغة، وجزم بذلك علماء الفرق والمقالات.

فقد نقل القمي المتوفى عام (٣٠١هـ/٩١٣م) أن عبد الله بن سبأ أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم وادعى أن علياً أمره بذلك (٣٦).

وأما الإمام الطبري المتوفى عام (٣١٠هـ/٩٢٢م) فقد أفاض في تاريخه في ذكر أخبار ابن سبأ ومكائده معتمداً على روايات الإخباري سيف بن عمر التميمي عن شيوخه (٣٧).

ويتحدث النوبختي المتوفى عام (٣١٠هـ/٩٢٢م) عن أخبار ابن سبأ فيذكر أنه لما بلغ نعي علي بالمدائن قال للذي فعله: كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يموت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض (٣٨).

ويقول أبو حاتم الرازي المتوفى عام (٣٢٢هـ/٩٣٣م) أن عبد الله بن سبأ ومن قال بقوله من السبئية كانوا يزعمون أن علياً هو الإله، وأنه يحيى الموتى وادعوا غيبته بعد موته (٣٩).
وأكد ابن عبد ربه المتوفى عام (٣٢٨هـ/٩٣٩م) أن ابن سبأ وطائفته السبئية قد سلخوا مسلك الغلو في علي حينما قالوا هو الله خالقنا، كما غلت النصارى في المسيح بن مريم (٤٠).
ويذكر أبو الحسن الأشعري المتوفى عام (٣٣٠هـ/٩٤١م) عبد الله بن سبأ وطائفته من ضمن أصناف الغلاة، إذ يزعمون أن علياً لم يموت، وأنه سيرجع إلى الدنيا فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً (٤١).

وروى الكشي المتوفى عام (٣٤٠هـ/٩٥١م) بسنده إلى أبي جعفر محمد الباقر قوله: إن عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة، ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، كما روى بسنده إلى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: «لعن الله من كذب علينا، إني ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادعى أمراً عظيماً، ماله لعنه الله» (٤٢).
ويقول ابن حبان المتوفى عام (٣٥٤هـ/٩٦٥م): «وكان الكلبي محمد ابن السائب الإخباري سبئياً من أصحاب عبد الله بن سبأ، من أولئك الذين يقولون: إن علياً لم يموت، وإنه راجع إلى الدنيا قبل قيام الساعة، وإن رأوا صحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها» (٤٣).

ويقول المقدسي المتوفى عام (٣٥٥هـ/٩٦٥م) في كتابه «البدء والتاريخ»: إن عبد الله بن سبأ قال عندما بلغه موت علي بن أبي طالب: لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه (٤٤).
ويكشف الملطي المتوفى عام (٣٧٧هـ/٩٨٩م) عن عقيدة السبئية فيقول: «ففي عهد علي رضي الله عنه جاءت السبئية إليه وقالوا: أنت أنت! قال: من أنا؟ قالوا: الخالق الباريء، فاستتابهم فلم يرجعوا فأوقد لهم ناراً عظيمة فأحرقهم» (٤٥).

ويذكر كبير محدثي الشيعة ابن بابويه القمي المتوفى عام (٣٨١هـ/٩٩١م) موقف ابن سبأ وهو يعترض على علي رضي الله عنه في رفع اليدين إلى السماء أثناء الدعاء (٤٦).
وفي «مفتاح العلوم» للخوارزمي المتوفى عام (٣٨٧هـ/٩٩٧م): «السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ» (٤٧).

وذكر البغدادي المتوفى عام (٤٩٩هـ/١٠٣٧م) أن فرقة السبئية أظهروا دعوتهم في زمان علي رضي الله عنه فأحرق قوماً منهم، ونفى ابن سبأ إلى سباط المدائن، إذ نهاه ابن عباس رضي الله عنهما عن قتله حينما بلغه غلوه فيه، وأشار عليه بنفيه إلى المدائن حتى لا يختلف عليه أصحابه، لاسيما وهو عازم على العود إلى قتال أهل الشام (٤٨).
وقال أبو جعفر الطوسي المتوفى عام (٤٦٠هـ/١٠٦٧م) إن ابن سبأ رجع إلى الكفر وأظهر الغلو (٤٩).

ويقول الاسفراييني المتوفى عام (٤٧١هـ/١٠٧٨م) إن ابن سبأ قال بنبوة علي في أول أمره، ثم دعا إلى ألوهيته، ودعا الخلق إلى ذلك، فأجابته جماعة إلى ذلك في وقت علي (٥٠).
ويتحدث الشهرستاني المتوفى عام (٥٤٨هـ/١١٥٣م) عن ابن سبأ فيقول: «ومنه انشعبت أصناف الغلاة» (٥١). ويقول أيضاً: إن ابن سبأ أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي (٥٢).
كما أن كتب الأنساب هي الأخرى تؤكد نسبة السبئية إلى عبد الله بن سبأ، ومنها كتاب الأنساب للسمعاني المتوفى عام (٥٦٢هـ/١١٦٧م) (٥٣).

وعرّف ابن عساكر المتوفى عام (٥٧١هـ/١١٧٦م) ابن سبأ بقوله: «عبد الله بن سبأ الذي تنسب إليه السبئية، وهم الغلاة من الرافضة، أصله من اليمن، كان يهودياً وأظهر الإسلام» (٥٤).

وفي اللباب في تهذيب الأنساب « يذكر ابن الأثير المتوفى عام (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ارتباط السبئية من حيث النسبة بعبد الله بن سبأ » (٥٥).

وذكر ابن أبي الحديد المتوفى عام (٦٥٥هـ/١٢٥٧م) في « شرح نهج البلاغة ما نصه: « فلما قتل أمير المؤمنين عليه السلام أظهر ابن سبأ مقالته وصارت له طائفة وفرقة يصدقونه ويتبعونه » (٥٦).

وذكر السكسكي المتوفى عام (٦٨٣هـ/١٢٨٤م) أن ابن سبأ وجماعته أول من قالوا بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت (٥٧).

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى عام (٧٢٨هـ/١٣٢٧م) أن أصل الرفض من المنافقين الزنادقة ، فإنه ابتدعه ابن سبأ الزنديق ، وأظهر الغلو في علي بدعوى الإمامة والنص عليه ، وادعى العصمة له » (٥٨).

وأشار الحسن الحلبي المتوفى عام (٧٤٠هـ/١٣٣٩م) إلى أن ابن سبأ ضمن أصناف الضعفاء (٥٩).

وعند الحافظ الذهبي المتوفى عام (٧٤٨هـ/١٣٤٧م): « عبد الله بن سبأ من غلاة الشيعة ، ضال مضل » (٦٠).

أما الصفدي المتوفى عام (٧٦٤هـ/١٣٦٣م) فقد قال في ترجمته: « عبد الله بن سبأ رأس الطائفة السبئية... فلما قتل علي زعم ابن سبأ أنه لم يمت لأن فيه جزءاً إلهياً ، وابن ملجم إنما قتل شيطاناً تصور بصورة علي ، وأن علياً في السحاب ، والرعد صوته ، والبرق صوته ، وأنه سينزل إلى الأرض » (٦١).

ويشير الشاطبي المتوفى عام (٧٩٠هـ/١٣٨٨م) إلى أن بدعة السبئية من البدع الاعتقادية المتعلقة بوجود إله مع الله تعالى الله وهي بدعة تختلف عن غيرها من المقالات (٦٢).

ويعرف الجرجاني المتوفى عام (٨١٦هـ/١٤١٣م) عبد الله بن سبأ بأنه رأس الطائفة السبئية... وأن أصحابه عندما يستمعون الرعد يقولون: عليك السلام يا أمير المؤمنين » (٦٣).

وفي خطط المقرئ المتوفى عام (٨٤٥هـ/١٤٤١م) أن عبد الله بن سبأ قام في زمن علي رضي الله عنه مُحدثاً القول بالوصية والرجعة والتناسخ (٦٤).

وسرد الحافظ ابن حجر المتوفى عام (٨٥٢هـ/١٤٤٨م) في كتابه: «لسان الميزان» عن ابن سبأ أخباراً غير روايات سيف بن عمر ، ثم قال في النهاية: « وأخبار عبد الله بن سبأ شهيرة في التواريخ ، وليس له رواية والحمد لله » (٦٥).

وفي عقد الجمان للعيني المتوفى عام (٨٥٥هـ/١٤٥١م) أن ابن سبأ دخل مصر وطاف في كورها ، وأظهر الأمر بالمعروف ، وتكلم في الرجعة ، وقررها في قلوب المصريين (٦٦).

وأكد السيوطي المتوفى عام (٩١١هـ/١٥٠٥م) في كتاب «لب الألباب في تحرير الأنساب» نسبة السبئية إلى عبد الله بن سبأ (٦٧).

وتحسن الإشارة إلى أنه لا ينبغي الغض من قيمة المصادر المتأخرة التي ذكرت السبئية، ذلك أن أصحابها كابن كثير والذهبي وابن حجر والسيوطي وغيرهم من الأئمة الحفاظ، كانوا يستقون معلوماتهم من مصادر قديمة وقيمة بعضها الآن في عداد المفقود ، كما عرفوا بسعة اطلاعهم وغزارة معارفهم وتقصيهم الدقيق للأخبار، حتى إن الباحث يندهش مثلاً عندما يطلع على كثرة الطرق وتنوعها في رواية ابن حجر لأحداث تاريخية، ومن مصادر متقدمة كأخبار البصرة لابن شبة، وكتاب صفين لحبي بن سليمان الجعفي، والمعرفة والتاريخ للفسوي ، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي ، وغيرها من كتب التاريخ.

وللحوار بقية. في العدد القادم بإذن الله.

الهوامش:

* دورية علمية تصدر عن جامعة الكويت.

(١) المنشور في مجلة الأزهر بدءاً من العدد (٥ السنة ٦٣) الصادر في جمادى الأولى عام ١٤١١ هـ.

(٢) الهلابي: عبد الله بن سبأ: دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة، ص ١٣.

(٣) انظر: العجلي: الثقات، ص ٢١٢، وابن حجر: تقريب التهذيب، ج ١، ص ٣٤١.

(٤) يحيى بن حمزة الزبيدي: طوق الحمامة (نقلاً عن إحسان إلهي ظهير: السنة والشيعه، ص ٨)، وابن حجر: لسان الميزان، ج ٣، ص ٢٨٠، وتهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢١٤، قال: (رواه البرقاني في اللفظ).

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق (المخطوط) ج ٩، ص ٣٣١.

(٦) الذهبي: الكاشف، ج ١، ص ٥١، وابن حجر: التهذيب، ج ١، ص ١٧٧.

(٧) ابن سعد: الطبقات، ج ٦، ص ١٩٢.

(٨) انظر: الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج ٢، ص ٥٩٢، والخطيب: تاريخ بغداد ج ١٢، ص ٢٢٧.

(٩) ابن عساكر: المصدر السابق (المخطوط)، ج ٩، ص ٣٣١.

(١٠) انظر: ابن سعد: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٩٥، وخليفة: الطبقات، ص ٢٤٦.

(١١) الفسوي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٦٥٨.

(١٢) انظر: الذهبي: الكاشف، ج ٢، ص ٥٢، وابن حجر: التقريب، ج ١، ص ٣٨٩.

(١٣) ابن عساكر: المصدر السابق (المخطوط) ج ٩، ص ٣٣١.

(١٤) انظر: العجلي: المصدر السابق ص ١١٠ وابن حبان: الثقات، ج ٤، ص ٩٢.

(١٥) ابن عساكر: المصدر السابق (المخطوط) ج ٩، ص ٣٣١.

(١٦) انظر: ابن حجر: لسان الميزان، ج ٣، ص ٢٨٩.

(١٧) ابن عساكر: المصدر السابق (المخطوط) ج ٩، ص ٣٣١.

(١٨) انظر: العجلي: المصدر السابق ص ٣٨٩، وابن معين: التاريخ، ج ٢.

(١٩) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١١٩/٣/٣.

(٢٠) انظر: ابن قتيبة: المعارف، ص ٢٣٤، وابن النديم: الفهرست، ص ١٠٥.

(٢١) الطبري: تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٥.

(٢٢) الهلابي: المرجع السابق، ص ١٦.

(٢٣) أعشى همدان: ديوان، ص ١٤٨.

(٢٤) أبو عمر العدني: كتاب الإيمان، ص ٢٤٩.

(٢٥) ابن سعد: المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٩.

(٢٦) انظر: الأشعري: مقالات الإسلاميين ج ١، ص ٨٦، والقمي: المقالات والفرق ص ١١٩، وابن حبان: المجروحين، ج ٤، ص ٢٥٣، والمقدسي: البدء والتاريخ ج ٣، ص ١٢٩.

(٢٧) ابن حبيب: المحبر، ص ٣٠٨.

(٢٨) ابن تيمية: منهاج السنة، ج ١، ص ٧.

(٢٩) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٣، ص ٨١.

(٣٠) الجوزجاني: أحوال الرجال، ص ٣٨.

(٣١) ابن قتيبة: المعارف، ص ٢٦٧.

- (٣٢) البلاذري: أنساب الأشراف ، ج ٣ ص ٣٨٢ .
- (٣٣) الناشيء الأكبر: مسائل الإمامة ، ص ٢٢ .
- (٣٤) الهلابي: المرجع السابق ، ص ٤٨ .
- (٣٥) المرجع نفسه ، ص ٤٧ .
- (٣٦) الفرزدق ، ديوان ، ص ٢٤٢ .
- (٣٧) القمي: المصدر السابق ، ص ٢٠ .
- (٣٨) الطبري: تاريخ الرسل ، ج ٤ ، ص ٢٨٣ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٤٠ .
- (٣٩) التوبختي: فرق الشيعة ، ص ٢٣ .
- (٤٠) أبو حاتم الرازي (أحمد بن حمدان): الزينة في الكلمات الإسلامية ، ص ٣٠٥ .
- (٤١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ، ج ٢ ص ٤٠٥ .
- (٤٢) أبو الحسن الأشعري: المصدر السابق ج ١ ، ص ٨٥ .
- (٤٣) أبو عمر الكشي: الرجال ، ص ٩٨ .
- (٤٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ .
- (٤٥) ابن حبان: المجروحين ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ .
- (٤٦) المقعسي: المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٢٩ .
- (٤٧) الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، ص ١٨ .
- (٤٨) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه ج ١ ، ص ٢١٣ .
- (٤٩) الخوارزمي: مفاتيح العلوم ، ص ٢٢ .
- (٥٠) البغدادي: الفرق بين الفرق ص ١٥ ، ٢٢٥ .
- (٥١) أبو جعفر الطوسي: تهذيب الأحكام ج ٢ ، ص ٣٢٢ .
- (٥٢) الاسفراييني: التبصير في الدين ، ص ١٠٨ .
- (٥٣) الشهرستاني: الملل والنحل ، ج ٢ ص ١١٦ .
- (٥٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥٥ .
- (٥٥) السمعاني: الأنساب ، ج ٧ ، ص ٢٤ .
- (٥٦) ابن عساكر: المصدر السابق ، ج ٩ ص ٣٢٨ .
- (٥٧) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب ج ٢ ، ص ٩٨ .
- (٥٨) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ، ج ٢ ص ٩٩ .
- (٥٩) السكسكي: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ، ص ٥٠ .
- (٦٠) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ، ج ٤ ص ٤٣٥ .
- (٦١) المجلسي: الرجال ، ج ٢ ، ص ٧١ .
- (٦٢) الذهبي: المغني في الضعفاء ، ج ١ ص ٣٣٩ .
- (٦٣) الصفدي: الوافي بالوفيات ، ج ١٧ ص ٢٠ .
- (٦٤) الشاطبي: الاعتصام ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .
- (٦٥) الجرجاني: التعريفات ، ص ٧٩ .
- (٦٦) المقرئزي: المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ص ٣٥٦ .
- (٦٧) ابن حجر: لسان الميزان ، ج ٣ ، ص ٢٩٠ .
- (٦٨) العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، ١/٩ ، ١٦٨ .
- (٦٩) السيوطي: لب الألباب في تحرير الأنساب ج ١ ، ص ١٣٢ .

خاطرة أدبية أدباء.. بلا أدب

د. محمد بن ظافر الشهري

قالوا عن الرجز أنه حمار الشعراء ، قلت: ليس الأمر كذلك إذا عد الحداثيون شعراء ، ذلك أن الصحف باتت أطوع الحمر للحداثيين ، فهي لا تبالي من الذي يمتطيها ولا ماذا يحمل ، مادام لا يحمل كلمة ثابتة الأصل شامخة الفرع ، وعلى كل حال فلم تعد الحمر بنوعيتها وسائط نقل مقنعة في هذا الزمان، ولهذا عمد أهل الارتزاق بالكلمة إلى «سيارات الكذب» فركبوا أسرعها لأن الثمن يتناسب باطراد مع السرعة ، وامتطى قليلو الأدب «طائرات الاغراء» فحلّقوا بها في سماء المجاهرين، أما عديمو الأدب فقد استقلوا «مكوك سب الإسلام» الذي أثبتت معامل النظام العالمي الجديد/القديم أنه أسرع وسيلة للوصول إلى النجومية العالمية ، وهو مجهز بأحدث وسائل السلامة!!.

لقد نال سلمان رشدي جائزة الدولة النمساوية إيماناً بـ «آياته الشيطانية» ، واستحق «الطاهر» بن جلون جائزة جوناكورد الفرنسية في «ليلة قدره» ، وتسبب «أولاد حارة» نجيب محفوظ في منحه جائزة نوبل.

إن المتابع للحركة الأدبية يلاحظ انتشار «الشذوذ الفكري» الذي أدرك عبيد الدرهم والشهرة أنه أيسر السبل لتسليم الهرم الأدبي المعاصر.

ليس شيئاً مما ذكرت يدعو إلى العجب ، فإن الحرب بين الحق والباطل سنة ماضية ، ولكن إذا كان هؤلاء «الشذاذ» قد أثروا الحياة الدنيا ، فأين الذين آمنوا بأن الآخرة خير وأبقى؟! ، إن هذا ينبغي أن يكون حافزاً لكل من وجد في نفسه القدرة على التعامل مع الكلمة وتطويعها أن يتقدم في ثقة وثبات متوكلاً على الله ، راجياً وجهه ، منافحاً عن العقيدة الناصعة والفكر الأصيل.

على الشاعر والناقد أن يشعروا بالمسؤولية الملقاة على كواهلهم وليحذروا من أن يرمي بهم التقليد الأعمى في غياهب الغموض ، أو يحصرهم في خطاب أساتذة الأدب الانجليزي في كليات الآداب ، إنهم مطالبون بإيصال الفكرة عبر الكلمة إلى الناس.. كل الناس.

وتبقى الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، ويبقى الأديب المؤمن صداعاً بالحق مهما كثر الناعقون بالباطل ، ((.. فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال)) [الرعد: ١٧]

نص شعري شجاعة

عبد الله بن محمد العسيري

أخيراً تعلمت أن جهاد اليهود ضلالٌ..!

وبوابةٍ.. للمجاعة!

وأن عناق اليهود شجاعة!

وأن نضالي الحقيقيّ تفرغٌ ذاكرتي..

من حكايا دمائي المضاعه!
ووهم القتال..
وحسبُك من شر لفظ سماعه.

* * *

غسلتُ فمي وفؤادي!
فرشتُ لرابين بسط ودادي!!
وعدتُ إليكم (بفتح) مريح
غنائمه رائحات غوادي!!
شجاعُ أنا فاحملوني وغنوا..
وزكوا نفوسكم من كرامتها!.. وتمنوا
فأحلامكم فوق ريح السلام..
ستصبح سُحباً..
تصب الغنى فوقكم والوئام!!

* * *

فقط.. طلقوا وهمكم واتبعوني
فإني كرهتُ سجون الكرامه!!
أنا خلف (وجه الصقور) اختنقتُ عقوداً..
فما أجمل الآن وجه النعامه!
شجاع أنا لست أخشى..
وها أنا أعلن أني تخطيت خوفي..
وصرت لدى ابن (حيي) غلامه!!

قصة قصيرة

عواصف العتمة

عواض بن شاهر العصيمي

في تلك الساحة..
والليل شبه وحيد في الطرقات..
ثمة قطيع من الكلاب يدور عاصفته على هواه..
تكبر حيناً وتدنو حتى أقول لن تصمد لها نافذتي المسيجة بالحديد متقارب القضبان.. وحيناً.. تخر إلى
الأرض ، فأحس بالأمن وتبدأ غيمة النعاس تلامس العينين.
بيد أنها ، كما لو أن أحداً قذف حجراً هناك: ما تلبث أن تملأ من جديد فضاء الليل ، فأبقى مكرهاً
مفتوح العينين ، أكابد العاصفة..
الوقت كماء ينبجس من صخرة ، يقطر كعادته متجافياً عني.. يتحاشاني أراه كلما تضرست في
مزولته ، والصبح لا عصافير له تحت العقارب..
أنهض.. أتأمل الساحة بغضب.. متوارية كالخديعة ، وفيها الكلاب لا تكاد ترى.. عمود المصباح
الذي يطل عليها من بعيد معطل ، ويقف مثل رجل منح.. والطريق سقيم..ولو غامرت ونزلت إلى

الشوارع ، وحاربت هذه المخلوقات بالحجارة ، لربما اعترضتني في تلك الساحة دورية الليل.. وعندما يسألوني سوف أرتبك.. وحينئذ قد ينزل من «الجيب» أحدهم ويدنو مني.. يتقحصني.. «البيجامة» واسعة كالثوب.. وسابغة حد الكعب.. والخلق بالإمكان حصر أزاريره خارج الفتحات.. والوجه على سجيته..

سألني عليه تحية آدم لملائكة الله أولاً، ثم أصفحه.. هو حُرُّ.. إن شاء صافحني وإن بادرني بالأسئلة فكما يريد.. الحق معه.. ماذا يفعل رجل هنا مع هذه الكلاب؟!.. وفي هذه الساعة من الليل الغابر؟!..

- لقد أزعجتني.. حاولت النوم فلم أستطع والله!..

- وتخرج هكذا.. أين تسكن؟!..

- هناك.. في تلك «الحارة»..

- هويتك!..

صحيح.. وهنا قد يأخذني إلى التوقيف.. سيكون صعباً بكل تأكيد قضاء بقية الليل على بلاط الريبة حتى الصباح..

المح وأنا مستند إلى قضبان النافذة المعتمة أكثر من كلب يقترب من العمود المعطل.. يتمحك به أحدها.. يرفع رجله.. هذه وضعية ممتازة للقتل.. رصاصة واحدة ، وفي مكان لا تزيغ فيه الشعرة ، كافية لمسح أثره..

هكذا كنا نقتل الكلاب.. إذ ما أن تهبط على قطعان الماعز في السفوح حتى نتلقاها في عتمات الكمائن.. وفوق الصخور، أو تحت الشجيرات المنقضة على منازلنا في السهل ، لا تطيش الطلقة عن لمعة المقتل..

أشد قبضتي على الحديد الخشن.. أشعر بالصدأ يتوحش في معترك الخطوط ، ويهيج في الأصابع.. يخترق راحة اليد باتجاه عزيمة اللحم والدم والعصب.. وما الذي يضر؟!..

عما قليل سيشتعل نداء الفجر.. وحالما تسيل على الحيطن الشمس تنطفئ الكلاب..

أنزع يدي خاليتين من الصراخ ولغط القضبان ، وأعود متمهلاً إلى فراشي.. الغرفة مذبوحة من الجدار إلى الجدار في الظلمة.. والباب موارى.. وفي نهاية المدخل على بعد أمتار ثمة زاوية تمسك بمصباح ينسكب مباشرة باتجاه الباب الذي يسلمني على الدوام إلى الشارع.. غير أن سعة من الضوء رغم ذلك جاهدت في السقوط عبر الباب داخل الغرفة ، وعلى الجدار انكسرت فبقي منها مثل طولي قائماً يتشبث بتراب الطوبقات القريبات من السقف.. كانت العاصفة قد سكتت..

ها هي من منازل الجيران تأتي الديكة منتشية بماء الفجر ، وأنا أذكر الله وأحشو الغرفة بالخطوات.. أقف مباشرة تحت المروحة المضبوطة على رقم (٥).. ورغم أن الهواء ينزل على فروة رأسي كالسوط، وصرير المروحة منخرط فيما يشبه انهيار السلاسل، إلا أنني أوقفت عيني على شيء يتحرك عند قدمي..

لقد أثار انتباهي أنني أطفأت الأنوار على فراش منفرد ، وثياب معلقة على الحائط ، ولم أفطن إلى أن الجريدة بقيت تروح بعدي وتجيء تحت هواء المروحة المستديم.. الآن فقط تبين لي أن الصفحات كانت طوال الليل تروح وتجيء تحت الهواء.. تتقصف.. يصطفق بعضها ببعض.. في الظلمة.. تحت الصرير..

أتذكر كيف أن الدم كان يفور بين يدي ، والخراب يندلع في الصفحة سطرًا بسطر.. وأن دمي موزعاً بين وكالات أبناء العالم ليس غير هذا الذي يسيل هنا تطارده الحرائق وحدقات الجنود..

أتذكر كيف أن «علي عزت بيغوفيتش» كان يقف وحيداً في ركن الصفحة مسبل اليدين ، حاسر الرأس ، قد بذل وجهه إلى شيء ما عن يساره ، وعينه اليمنى كانت ضيقة مثل الطرقات إلى «سراييفو» ..

وكيف أن الرجال ذوي العيون الزرق ملؤا ذات صباح شوارع «مقديشو بحثاً عن سلام فاقع كجباههم وقت الظهيرة.. كانت (Hope Returning)* ترقص ثملة على شفاه رجال البحرية وهم يحرسون الأقداح الفارغة في المخيمات ، بينما أحرق أنا في وجوه بضعة أطفال تجاوروا حول رجل لا يبدو منه سوى دمه على الأرض..

العالم يطبق على رأسي مثل قبة.. أحسست بجفاف حاد، واشتهيت الماء، غير أنني تمهلت في النهوض حتى اطمأن ، عرق في رأسي أخذني فجأة..

وبقيت الجريدة بعدي..

والكلاب..

والعتمة..**

الهوامش:

* معناها: «إعادة الأمل»، وهو اسم العملية العسكرية التي أقرها على أرض الصومال مجلس الأمن الدولي.

** نشرنا قصتك بالرغم من سيطرة العتمة عليها، ونرجو أن تحمل مشاركاتك القادمة بروقاً من الأمل والعمل بين العواصف.

-البيان-»

نص شعري

.. حوار ..

علي الحاجي

جميل:

أنا يا بئينة راحل صوبَ الجبل فالشيبُ أنذرنى وقلبي في وِجَلْ
قال استمعْ نُصحي فوجهك شاحبٌ رتبْ حقائبك الثمينة في عَجَلْ
والوقتُ أدركنا وهذي شمسُهُ غابتْ وراء الأفق والليلُ وَصَلْ
إني بياضٌ غيرَ أنْ مُصِبتى سوداءُ تَحْمَلُ في ثناياها الأجلْ
عهدُ الشباب مضى فماذا يُرتجى من هذه الدنيا الفجورة بالدَجَلْ
إمض لعزك فالجنانُ قريبةٌ قُرب الطغاة إلى جهنمٍ يا بَطْلْ

بئينة:

قالتْ بئينةُ يا جميلُ أما ترى
بذل الأباهِ دماءهم ونفوسهم
بل كل معركة نخوضُ غمارها
إهدأ قليلاً كي نُقومَ ما مضى
هل ما تقوم به جهادٌ فاضلٌ
أن المعارك والحروب بلا أمل
وتيتمت أبنائهم في المعتقل
نسجت وقائعها على قد الفشل
ونرى علاقة ما طبخت بما حصل
أم أنه نزقٌ وطيشٌ مُرتجل؟

وَهَنَّتْ قَوَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ لَدَيْكُمْ فَحَرَجْتَ تَسْتُرُ ضَعْفَ صَبْرٍ قَدْ رَحَلَ
ووصفت مَنْ جَعَلَ الْأَنَاةَ طَرِيقَةً بَيْنِي بِنَاءَ الصَّالِحِينَ مِنَ الْأَوَّلِ
بِالْجُبْنِ وَالْخَوْرِ الشَّدِيدِ وَأَنَّهُ حَمَلٌ يُعَدُّ عَلَى الْمَدِيحِ مِنَ الْهَمَلِ

جميل

أَوْ هَنَّتِ يَا بَنَّتِ الْأَكَارِمِ وَالتُّقَى وَشَرَعْتَ فِي نَحْتِ الْأُرُومَةِ وَالْأَثَلِ (١)
وَجَعَلْتَ سَبَابَ الْخُنُوعِ جَمِيلَةً وَصَقَلْتَ سَيْفًا لِلدَّعَايَةِ وَالْجَدَلِ
خَوْفًا عَلَى مَالٍ يَلْدُ رَنِيئُهُ وَخَدُودَ أَصْغَرْنَا الَّذِي مَلَّ الْقَبْلِ
هُمَّ جَنَدُوا لِلْحَرْبِ كُلِّ رَمَاحِهِمْ وَبَقِيَتْ وَحْدِي بِالتَّعَقُّلِ مُعْتَقِلٌ
أَدْعُو إِلَى السَّلْمِ الذَّلِيلِ وَأَبْتَغِي عِنْدَ الْعَدُوِّ سِرَابَ عَيْشٍ مُبْتَدِّلٌ
أَنَا إِنْ أُمْتُ فإِلَى الْجَنَانِ تَرْفُئِي حُورٌ تَلَأَلُ مِثْلَ أَحْدَاقِ الْمُقَلِّ
أَوْ أَنْتَصِرَ أَقْضِي عَلَى جُبْنِ غَدَا نَهْجًا وَفِكْرًا يُسْتَطَابُ وَيُنْتَحَلُ

بثينة :

أنا ما عشقتك يا جميل صباية أو هزني شعرٌ تضحخ بالغزل
أنا قد عشقتك يا جميلٌ مجاهدًا ومثقفًا ومفكرًا يحيي الأمل
أنا ما حرصت على الحياة دقيقة إلا لأضغط فوق زندق يا بطل
إن كنت تحسب أن قلبي خائرٌ أخطأت يا زين الشباب ولا خجل
أو كان حقدك يا جميل أصابني فاعلم بأن الحقد أكثر ما قتل
كل الذي أبغيه أن تلق العدا في ساعة لا حظ فيها للفشل
وانظر لصقك بالأناة وبالتقى وابتحث عن السر الذي خلف الشلل

بثينة:

أنا لست أحقدُ يا بثينة مطلقاً لكنني أخشى عليك من الحول
أخشى من الضعف الذي هز الحجا وغدا سلاحاً يستظل بما حصل
لكن نصحك يا بثينة رائع عسلٌ يخالطه رحيقٌ من جدل
قلبي بحببك يا بثينة نابضٌ لما رأيتُ الصدق ينبض في المقل
هيا نحاول أن نقوم نهجنا بشجاعة الأبطال والسلف الأول
رفعوا لواء الحق في أركانها وفق الكتاب ووفق منهاج عدل
فقهوا كتابهم وعاشوا عصرهم فاستنبطوا حكماً وصاغوها دول

بثينة:

أبشر جميلُ فلست أوجلُ منهمو حُسنُ التدبر من مزيات البطل
فانظر لمشكلة الجزائر كي ترى أين الصوابُ وأين أسبابُ الزلل
وانظر إلي مصرَ الجهاد هنيهةً علَّ التبصرَ يُطفئ الخطبَ الجلل
أو خذ بلاد الشام كيف تصرفوا فنتفرقوا في كلِّ بيدااء طلل
فإذا استفدت من الدروس جميعها ووعيت أسبابَ التخلف والعلل
هيا إلى ساح الجهاد فكُننا شوقٌ لنثارَ للمذابح في عجل
فإذا رجعت من الجهاد مظفراً ألقاك بالوجه المضيء وبالقبل
وإذا قضيت فإنني مشتاقةً ولجنة الفردوس يحدونا الأمل

الهوامش:

الأثل: أثلة كل شيء: أصله

نقد على نقد

تقويم الحداثة = تقويض أم ترويض؟

إبراهيم بن منصور التركي

أجذب النمط الشعري في عصر الانحطاط ، وبلغ من التصحر درجة الترمد والتجمد، فهبت أيدي النهضويين تستدعي النص التراثي الغائب تعيد إنطاقه واستنطاقه ، وتحاول امتداداً عمودياً يتصل بالسلف الشعري، ويمتد في الوقت نفسه أفقياً ليعبر عن واقعه المعاش.

ولم يكن هذا الوضع ليرضي ثلثة معاصرة رأت فيه ارتكاساً فجاً ، يتبتل في محراب القديم «المتكلس» ، فمضت فيما تحسبه حادثة أو تحديثاً تزعم اقتراض النافع من يمين أو يسار، فاتحة بذلك باب الانبهار بالآخر الغربي على مصاريعه، كل ذلك مع محاولة استنكاف يتأبى خضوعاً للسابق العربي ، فكان أن جاءت تلك المحاولات مسخاً للشرق ونسخاً للغرب.

وحاول بعض المهتمين تلمس أسباب تلك الميول المتفرنجة، واكتناه ما وراء الأكمة، فجاءت طروح كثيرة يأخذ بعضها برقاب بعض، تعرض لهذه الظاهرة التحديثية وتتناولها بالدراسة والتقويم ، وأبحرت مقاربات رديفة لتنتشل الأدب من التشطي المرتقب ، وتحثو في وجوه الناكسين بعض الحقيقة، وانبرت الثلثة الغيورة لتتمترس صوت الحوار والنقاش، مطلقة أعيرتها الحوارية عبر توجيهين متباينين انشعبت إليهما الرؤى ، تعلن في أولهما الفئة الأولى عن رفضها القاطع لكل إفرازات تلك الظاهرة التحديثية ، وترى حتمية القطيعة المعرفية مع كامل نتاجاتها ، في حين رأت الفئة الأخرى إمكانية الانتفاع بالمعطى الجديد ما لم يصادم الثوابت أو يزعزعها ، هذه الفئة الأخيرة تتكئ على تأسيس معرفي بالرأي والرأي المضاد ، فتتناور بعد استكمالها شرائط الحوار وطرائقه ، من غير ان تتخذ من دون الحق وليجة ، وسنقارن فيما يأتي بين النهجين في حوارهما الحداثة حواراً أدبياً فكرياً.

أولاً: جوانب التجديد الشكلي:

لقد تخلقت الحداثة من رحم التجديدات وارتياذ ذرى التحديث ، فما لبثت الأكلة أن تداعت إلى قصعتها مبهورة بجديد الموائد ، إلا أنها أعني الحداثة أصطدمت بالابتناء المحصن عن بعض ضد اجتياحاتها الجسورة ، فهي لم تكتف بالاندساس الدلالي في صميم المتن الشعري، وإنما مارست انزياحاً متمرداً انتهك الأنساق الشكلية السائدة، وحاول بعض الغيورين ربط هذا الانتهاك الشكلي بجوانب التمرد الدلالي ، فالشعر الحر أو شعر التفعيلة وفق هذه النظرة مرفوض بجميع أشكاله وألوانه ، لأنه يشارك في الجريمة الواسعة ويمهد لها ، والشعر الحديث جريمة يمتد في أسلوب متدرج حتى يقتل الكلمة العربية ويلغي تاريخها، وحتى يحاول قتل اللغة كلها، ثم يمتد المكر إلى التاريخ والعقيدة والدين، ومن ثم لا يرضى أصحاب هذا التوجه عن عدد من الشعراء المسلمين شرعوا يكتبون الشعر الحديث ، وهم يدرون أو لا يدرون أن جميع أشكاله بضاعة واحدة خطط لها نهج واحد لتحقيق أهداف واحدة.

ولم يرتض المنصفون فتح أبواب المصادرة والإلغاء وإساءة النية، أو جعل التماهي بين الكيانين الشكلي والدلالي أمراً حتمياً ، فجاء نهجهم ليقرر بأن لنا «أن نعاف الطارئ وليس لنا رفض وجوده وإن اختلف مع الموروث.. فشاعر النثرية والغموض نرفضه فنياً ولا ننظمه في عقد المشبوهين إلا

أن يعتمد بنزوعه تقويض الكلمة الطيبة ، والمتأثر فنياً بشاعر حدائى لا نسلكه في مساره الفكري» (١)

وحسبما يعلم فإن التجديد العروضي ضارب بجذوره في تراثنا الأدبي كما أن الغموض ليس قضية أنية راهنة ، وإنما هو إشكالية تتجذر في تراثنا النقدي عبر مقولة (المعنى في بطن الشاعر) أو مكاشفة (لم تقول ما لا يفهم؟) إنها تخلص للفن من تلك العبارات التي فقدت وهجها المثير ، وأصبحت مضغة في شدة السائد والمتبع.

إن الرغبة السلطوية في التأطير وقولية الإبداع ستقف حجر عثرة إن اتسعت أمداؤها أمام محاولات التجريب والشكف عن اللامع المستكن.

ولهذا جاء النهج المتعقل ينداح في فضاءات التمايز بين الكيانين أعني محايدة الفن للموضوع ويؤكد أن «الغموض الفني لا يعني إلغاء الدلالة.. إنه تخلص للنص الإبداعي من الدلالة الواحدة المنتهية والتسامي إلى احتمال دلالات كثيرة يتلبس بها النص ، وتكون قادرة على الاستجابة لتطلعات المتلقي» (٢)

إن النهج المنكفي على مألوف الذات لا يشكل معضلة حينما يغدو الانكفاء ممارسة فردية محصورة ، ذلك أن الطرح الشعري الجديد يظل توجهاً ذوقياً يحق للأخر استدباره مادام يرى القبلة في الجهة المخالفة ، إنما الإشكال ينزرع عندما يكون الاستتكاف الفردي فرضاً قسرياً لرأي الأنا في وجه الرؤية الجماعية ، أو عندما يصبح تجبراً عادئياً ضد مألوف الذات. إن رفض التجديد وإقفال الباب دونه سيؤدي بالضرورة إلى تسطح الإبداعات الأدبية ، وتحويل أشكالها إلى أختام محفوظة يصم بها الأذعياء الدخلاء. فيختبئ من ثم الوسم البائن بين المبدع الأصيل ، والمدعي الدخيل. كما قد تتسلطن الرؤية الأحادية لتكبسل الرؤى الجمعية وتختزلها في مرتأى فردي وحيد.

ثانياً: إلغاء الحداثة وتصفيتها أم تنقيتها؟:

إن التوجه الترويضى يميل إلى إمكان التعويض بديلاً عن إعلان التقويض ، وي طرح الرغبة في التنقية عوضاً عن الإلغاء والتصفية. فهو يتساءل عن جدوى «التفكير في أسلمة الحداثة وجعلها إشكالية عربية متحاشية التورط في الإلحاد والرفض والتصدي للإسلام» (٣) ، «فالتأثير أنها أي الحداثة تستمد لحمتها وسداها من واقعها المعاش ، ومن ثم فإن لكل زمان ولكل أمة ولكل ثقافة حداثة متميزة ، فهل نملك القدرة على بلورة حداثة عربية تصد وباء الطارئ .. لو استطعنا ذلك لقبلنا بوصف الجديد بالحداثة، ومنحناها ملامح عربية وإسلامية ولنا أن نسميها ما شئنا: حداثة أو معاصرة أو تجديداً» (٤) .

وبرغم الروح المتفائلة التي ينطوي عليها هذا الرأي إلا أنه يعكس إشعاع الترويض الذي يماهونه أنصار التقويم ل طرح البديل الجائر ، وهنا تصبح محاولات التقويم فعل احتواء للشكل الحدائى دون النفاذ إلى دواخل المعنى الشعري ، أي أنه يحزر الكلمة مما علق بها من غبار السنين فيطهرها ويغسلها. وهذا النهج المتعقل يعيد في حوار إبداع خطابه النقدي حول الخطاب الحدائى المتأسس فيندس في أديمه المغصن ، ويعيد تشكيله عبر رؤية مقبلنة تمارس الفرز والانتقاء. إنه يذيب ولا يذوب، يجادل ولا يجامل ، يختار الباقيات الصالحات ولا يرضى غيرها. ولا يرى خطاب التقويم إمكانات استبقاء الصالح، بل إنه يشنع على الحداثة بكل صورها ، وينفي تعدديتها وتباينها ، فلا يمكن حسب ذلك الرأي أن يقول حدائى أن له حدائته الخاصة التي تختلف عن حدائته أدونيس أو كمال أبو ديب ، لأن ركائز الحداثة واحدة ، وخطها العام واحد ، وهذا الرأي قد اجتالته أفكاره الغيورة المتحمسة إلى الرغبة في طمس المعالم التحديثية وغيبتها ، دون

إدراك مفارقة الأدبي للفكري ، في حين يؤكد الخطاب الآخر وبكل واقعية أن علينا «أن نتبين ميادين الجدل الحدائهي فهناك الحيز الأدبي والحيز الفكري ولكل مجال متطلباته» (٥) لقد خلط الهم التحديهي عملاً صالحاً وآخر سيئاً فكان لزاماً استبقاء ما ينفع الناس وإزهاق روح الزبد ، أما محاولة نسف المنجز الحدائهي بكل مفرداته فتفكير عاطفي يهوي بالموضوعية في مكان سحيق. إن ذلك يعني إشراع النواقد أمام حوار فني تتبادل فيه الآراء حول الجديد الوافد دون فرض مصادرة أو استعداد.

ثالثاً: منهج التعامل مع الأقوال الحدائية:

الفارقان السابقان داخلان ضمن الفروق في منهج التعامل، لكن أفراد منهج التعامل مع الأقوال بفقرة منفردة يأتي تنبيهاً على خطورة هذا الجانب. ذلك أن كثيرين يستصدرون أحكامهم عن ظواهر الأقوال من خلال ما يستبطنونه من نوايا، عبر توغل ينبت عن الظاهر البريء ليفتض بكاره الأصقاع المحجبة.

يؤكد خطاب التقويض مثلاً على أن في الحدائهي ثورة على اللغة والعقيدة والتاريخ والدين ، ويضطر أحياناً لكي يؤكد هذه المقولة إلى لي أعناق النصوص المحايدة ليجعلها رفضاً للدين أو اللغة أو التاريخ! رغم أن النص حمال يمكن أن يستوعب دلالة أرف! إن العقل المتجرد يوجب «أن نتخطى التعميم والتشهير وعشوائية التصدي. وتلافي إطلاق الأحكام العامة.. وتحرير المسائل وتحديد الأحكام وأخذ الأمور بقوة الفهم ودقة التصور» (٦)، كما يأخذ على عاتقه «إقامة جسور العودة، وفتح قنوات الاتصال، وطرح الفظاظ والغلظة وتحمي التشهير» (٧).

إن التعامل الواقعي مع الظواهر المحدثه ومحاورتها كفيل ببلورتها وتصحيح منهاجها، أما استعداد الآخرين واتهامهم بالمروق والفسوق والعصيان ، فلا يجب أن يكون إلا مع «الفئات المكشوفة ، التي تعلن الحرب على الله والكون والإنسان فهذه لا هوادة معها ولا حوار» (٨) إن وجود حوار خلاق يدرع جناح الكلمة المهذبة سيرسم الدروب والمسالك ويقتطع من البيداء المهالك ، وهو ما قد يعيد للأصيل تعمقه ، ويقزم دور الطارئ الدخيل ، فضلاً عن أنه يمنح النقد مصداقية هو في مسيس الحاجة إليها.

إن الإسلام كما يأبى في الشعر والقصة إثارة الشهوة، فإنه يأبى في النقد شهوة الإثارة، وهو كما يرفض أن يتسامق النقد لذات النقد فهو أيضاً يرفض أن يتسابق النقد لنقد الذات، وكما الحرص علي إيجاد أدب إسلامي في الشعر والنقد يجب أن يكون الحرص على وجود أدب إسلامي في الحوار ، هذه البدهيات المغفلة يجب أن تنسرح إلى حيز الفعل في كل حوار نقدي ، حتى لا يزل النقد الإسلامي أو يُزل في مهاترات لا تجدي شيئاً. وأحسب أن زلات كتلك قد تعني سلباً للمعطيات الإيجابية التي يمكن أن تريع في حزن النقد والإبداع الإسلامي بفعل التحاور الخلاق بين الرأي والرأي الآخر.

إني هنا لا أتهم أشخاصاً أو أبرئ آخرين ، بقدر ما أحسب أنني وازنت بين نهجين من منهاج التعامل مع الرأي المضاد ، الذي وإن اختلفنا معه ، فلا يجب أن يكون اختلافنا ضدياً متشججاً ، بل يجب أن يكون حوارياً هادئاً يمتلك مع فزادة التصور فزادة الأسلوب.

وعلى أي حال، يمكن لمن أراد الاستزادة في معرفة الحدائهي ، سواء أكان من جهة جذورها أو أفكارها أو المنهج الناجع للتعامل معها، أن يقرأ مع كتاب د. الهويلم السابق كتاب: الحدائهي في ميزان الإسلام للدكتور عوض القرني وكتاب: أدب الرده للأستاذ جمال سلطان ، ففيهما حول هذا الموضوع غناء شاف وبيان واف.

الهوامش:

- (١) الحداثة بين التعمير والتدمير ، د.حسن الهويل ص ٣٩
- (٢) نفس المصدر ص ٤٦
- (٣) نفس المصدر ص ٢٧
- (٤) نفس المصدر ص ٢٩
- (٥) الحداثة بين التعمير والتدمير ص ٢٨
- (٦) نفس المصدر ص ٣٤ ٣٥
- (٧) نفس المصدر ص ٣٨
- (٨) نفس المصدر ص ٣٧

المسلمون والعالم

الحالة الجزائرية الفصل الثالث

ثم ماذا!؟

د/ يوسف الصغير

إن ما يجري في الجزائر اليوم امتداد لما سمي بحرب الجزائر ، فالصراع كان بين تيارين أساسيين هما تيار الفرنسة والتيار الإسلامي ، وعلى الرغم من تغير الأسماء فإن المسمى واحد ، فالحرب الأولى كانت بين الجيوش الفرنسية والمجاهدين الجزائريين واستمرت من عام ١٨٣٩م لمدة نصف قرن ، ارتكبت خلاله الجيوش الفرنسية أبشع صور الإبادة، وتم لهم في النهاية إخضاع الشعب الجزائري ، وبدأت مرحلة المسخ بعد مرحلة الإبادة، وخلال هذه المرحلة قام الفرنسيون بجهود جبارة لإعادة صياغة الشعب ثقافياً ، وضمت الجزائر إلى فرنسا، فتم تشجيع الفرنسيين على الاستيطان في الجزائر، واستعمارها وسموا بالمعمرين ، وأعطوا أحسن الأراضي ، وتمتعوا بحقوق المواطنة من الدرجة الأولى أما الشعب فهو فرنسي من الدرجة الثانية ، وتم فرض الخدمة العسكرية عليهم ، ولكن لم يترقوا في الرتب، أما سياسياً فقد نشأت فروع للأحزاب الفرنسية في الجزائر وكانت أقصى أمانى الأحزاب الوطنية أن ينال مواطنوا الجزائر حقوق الفرنسي، وفي هذه الأثناء قام الشيخ عبد الحميد بن باديس بإنشاء جمعية العلماء وكان لها دور كبير في المحافظة على الهوية الإسلامية، مما مهد لقيام حرب التحرير التي كان الإسلام هو مرتكزها المعنوي، وكان الناس يقاتلون لإخراج الفرنسيين الكفار من الجزائر التي يجب أن تبقى حرة ومستقلة عن فرنسا، وبالطبع كان هناك كثير من الجزائريين يقاتلون في صفوف الفرنسيين وهؤلاء انقسموا إلى قسمين، قسم بكر في اتخاذ القرار وانضم إلى جيش التحرير قبل انسحاب فرنسا ويمثلهم كثير من الضباط السابقين في الجيش الفرنسي، وهم الذين يحكمون الجزائر اليوم باسم فرنسا وعلى رأسهم خالد نزار ويعرفون بجنرالات فرنسا، أما القسم الآخر فقد خرجوا مع الفرنسيين وعاشوا في فرنسا يعانون من التهميش والإهمال فهم لا يعاملون معاملة الفرنسي على الرغم من تضحياتهم، حيث يعانون إحباطاً لا مزيد عليه فهم منبوذون من الجالية الجزائرية في فرنسا إضافة إلى إحساس الفرنسيين بأنهم عبء عليهم، غير أنه يتوجب عليهم إيواؤهم لأسباب أدبية.

وبعد إنسحاب فرنسا العسكري من الجزائر تولى مقاليد السلطة بدعم دولي وإقليمي رجل يخطب في الناس بالفرنسية، ويحكمهم بالاشتراكية (أحمد بن بله) وبينما قام النظام الجديد بتقريب الشيوعيين الذين كانوا يؤيدون لاستعمار الفرنسي، قام بإيذاء وسجن شيوخ جمعية العلماء. وعلى الرغم من تغير الحكام فإن سيطرة المتفرنسين كانت واضحة وتكونت منهم مافيا عسكرية وسياسية غرقت في الفساد ونهبت ثروات البلاد بل وحاولت بيع ثروات البلاد مقدماً وأوقعتها في ديون خارجية كبيرة حتى إن دخل البلاد لا يكاد يغطي ربا الديون فكيف بوفائها؟! وفي المقابل قامت هذه العصابة بالوقوف أمام التوجه الإسلامي بل وحتى نشر التعريب.

وعن طريقهم استمرت فرنسا في حكم الجزائر وكانت الأحداث الحالية دليلاً واضحاً على أن الجزائر لا تزال أسيرة الاستعمار الفرنسي حتى إن الشيخ رابح كبير صرح في حديث إذاعي أن وزير الداخلية الفرنسي يتحدث كأنه وزير داخلية الجزائر، وذلك تعليقاً على حادثة المجمع السكني الفرنسي في الجزائر.

ولهذا فإنه لا داعي لتحليل مواقف الحكومة الجزائرية لأنها وإن كان أركانها سواءً أكانوا البارزين أو المتوارين لهم مصالح يحاولون الحفاظ عليها إلا أن بقاءهم مرهون بمواقف أسيادهم، فهم بين منفذ لسياسات الدولة الداعمة أو لاجئ إليها.

إن الحكم العسكري في الجزائر يحاول الحصول على دعم من أي جهة لديها استعداد، ولها مصلحة في دعم الوضع الحالي في الجزائر ويمكن تقسيم تلك الجهات إلى ثلاث: عربية وغربية وفرنسية.

أولاً : الموقف العربي:

إن نظام الحكم في الجزائر يحظى بدعم الدول العربية التي تشعر بخطر تنامي الصحوة الإسلامية وخوفها من قيام دولة إسلامية تعبر عن آمال شعبها في تطبيق الإسلام في كل مجالات الحياة ، ولكن مظاهر هذا الدعم تتفاوت فبلاد المغرب العربي في وضع حرج: فهي من جانب علاقاتها متوترة مع الجزائر فهناك مشاكل حدودية ساخنة مع المغرب، وأخرى تحت الرماد مع تونس وليبيا، ومن جانب آخر تخشى وصول الإسلاميين للحكم مما يجعل الدعم الواضح للحكومة مغامرة غير محمودة العواقب، ولهذا فالمغرب تارة يعض الطرف عن نشاط الجماعات المسلحة على جانبي الحدود، وتارة أخرى يتشدد معها حتى أنه سلم أمير الجماعة الإسلامية المسلحة (عبد الحق العيايدة) إلى حكومة الجزائر التي حكمت عليه بالإعدام، أما تونس فإنها لزمت الصمت عند فوز الجبهة في الانتخابات، ثم انحازت بصورة واضحة للنظام مما أدى إلى قيام الجماعات المسلحة بعمليات انتقامية داخل تونس، أما ليبيا فهي كالعادة مواقفها متباينة وغير ثابتة والحكومة الجزائرية أحياناً تتهم ليبيا بإيواء المجاهدين، وأحياناً أخرى تشيد بالتعاون الأمني وتحدث عن دعمها اللفظي طبعاً لليبيا في وجه الحصار المفروض عليها.

أما الدول البعيدة فمنها من يتراوح تأييده بين دعم مادي وبين تعاون أمني وثيق عن طريق إرسال ضباط وخبراء في التحقيق والتعذيب وعلى أي حال فإن وضع النظام الميئوس منه لا يشجع على التورط معه في علاقة قد تؤثر على مستقبل العلاقة مع تلك الأنظمة في حال سقوطه.

ثانياً: موقف الدول الغربية:

وهي تنقسم إلى دول من الدرجة الثانية، وهذه الدول همها المنافع المادية المجردة بغض النظر عن طبيعة نظام الحكم فمثلاً إيطاليا يهتمها بقاء العلاقات الاقتصادية الحالية، ولكنها لا تتبنى النظام السياسي، ولهذا فهي تدعوا إلى حوار يشمل جميع الأطراف، بل وتقول: إن النظام يعاني من مشكلة شرعية أما الدول القوية وبخاصة أمريكا وألمانيا فإن لهما مصالح اقتصادية وأهداف سياسية مستقبلية في الجزائر: فمثلاً أمريكا لها مصالح حالية كبيرة في الجزائر وهي تأمل في تأمين هذه

المصالح ، وتسعى إلى ملاءمة الفراغ الذي يتوقع أن يشغل بخروج فرنسا النهائي من الجزائر ولهذا فهي تسعى إلى بناء علاقات مع كل من الحكومة الحالية ، ودعمها مالياً ولو بصورة محدودة نظراً لإحساس أمريكا بعدم جدوى الدعم للنظام وأن سقوطه مسألة وقت ومن جانب آخر تحرص على ربط علاقات ببعض الأطراف ممن يمثل الجبهة الإسلامية للإنقاذ وبخاصة تيار الجزائر ، ويلاحظ أن موقف أمريكا الرسمي هو تفضيل بقاء النظام الحالي كما هو مع علمها باستحالة ذلك، ودعوة النظام من جهة أخرى إلى الحوار الجاد مع الأطراف الأخرى التي لا تمارس العنف، مما قد يعني ضمناً استبعاد جبهة الإنقاذ، وهذا يتوافق مع الموقف الفرنسي، ولكنه لا يتوافق مع الموقف الفعلي الأمريكي في محاولته لربط خيوط الاتصال مع جميع الأطراف ويبدو أن الموقف الأمريكي يحاول الجمع بين أمرين متناقضين وهما استبعاد الإسلاميين عن الحكم وأن تحل أمريكا محل فرنسا في الجزائر، وهذا الجمع مما يصعب تصوره فإبعاد الإسلاميين يقتضي ترسيخ الدور الفرنسي، وخروج فرنسا يعني سقوط النظام في يد الإسلاميين، وبالتالي فإن أمريكا تصرح بأن هناك اتفاق في وجهات النظر مع فرنسا، ولكن ليس هناك تطابق فيها، وقد شرح أحد الدبلوماسيين الأمريكيين الوضع في الجزائر في لقاء له مع وسائل الإعلام ، ومما نشرته «الحياة» في ١٤١٥/٢/٨ هـ نفتظ ما يلي:

«قال: إن الوضع المتدهور في الجزائر مقلق» ، ونفى أن تكون بلاده تنازلت عن الجزائر أو أنها مقتنعة بأن حكومة إسلامية هي المستقبل الوحيد فهذا ليس الواقع «لقد أيدنا جهود الإصلاح الاقتصادي عبر إعادة جدولة ديونها الخارجية في نادي باريس وصندوق النقد الدولي وحضنا الحكومة على توسيع قاعدتها السياسية الضيقة جداً عبر الحوار مع كل القوى السياسية التي ترفض العنف والإرهاب» في البلد.

إلى أن قال: «أما النتيجة الأكثر ترجيحاً في حال استمرار التدهور فهي اتجاه البلاد نحو نوع من البلقنة ، وهذا سيكون تطوراً سلبياً يشجع بعض المناطق الأخرى مثل مناطق البربر لأن تصبح أكثر ميلاً للانفصال هذا هو السيناريو المرجح في حال استمرار التدهور».

ثالثاً: الموقف الفرنسي:

إن فرنسا تعاني من عقدة الشعور بأن هناك انحساراً سريعاً في النفوذ الفرنسي في العالم وتراجع على جميع المحاور أمام الزحف الإنجلوسكسوني فهناك مشكلة تراجع اللغة الفرنسية سواءً أكان ذلك على مستوى أوروبا أو على مستوى العالم، وحتى في فرنسا يعاني الفرنسيون من زحف الثقافة الأمريكية الناطقة بالإنجليزية، أما في إفريقيا فإن التراجع مستمر ويحاول الفرنسيون باستماتة الحفاظ على آخر مناطق نفوذهم فأنشأوا الرابطة الفرانكفونية وتورطوا في النزاعات الداخلية لحماية مصالحهم، وقد تمت هزيمة فرنسا في رواندا وحلت محلها أمريكا بدون جهد كبير ، ويمثل الوضع في الجزائر أكبر التحديات أمام الحكومة الفرنسية فهناك داخل الحكومة تنافس كبير بين وزيرى الداخلية والخارجية حيال الملف الجزائري مما يوحي بحالة التردد في التعامل مع الجزائر بين عقليتين، عقلية أن الجزائر ما تزال ينظر لها على أنها امتداد لفرنسا أو أنها بلد لها فيها مصالح مهمة، أما الشعب الفرنسي فهو يعيش بين مشاعر العنصرية والمكابرة إزاء المطالبة بالتدخل في الجزائر وبين الإحساس بالعجز ومطالبة الحكومة بالكف عن سياستها الخرقاء في الجزائر والعمل على عدم الغرق في أتون المشكلة الجزائرية، ويبدو أن الحكومة الفرنسية متورطة في دفع فاتورة ليس لها حد من أجل حماية النظام ومحاولة منع سقوطه مع إحساسها بعدم جدوى الدعم حتى إن وزير خارجيتها يتساءل عن مصير مساعداتهم ولا شك أن ارتكابها لأعمال استعراضية مثل عمليات التفيتيش والتدقيق التي ليس لها عائد سوى إحساس المسلمين بالغبن والإذلال مما يزيد من تفاقم الوضع ويدل

بالتالي على حالة التخطيط التي تعيشها فرنسا مع إحساسها بأن هناك من يسره تتالي أخطائها لأنه يعد العدة للعب الدور التالي الذي قد ينجح فيه، وقد يناله ما نال فرنسا، وما أعنيه أن أمريكا دأبت على وضع رجلها في موضع قدم فرنسا الخالي، وللذكرى فإن أمريكا حاولت أن تنجح فيما فشلت فيه فرنسا في فيتنام حيث إنه بمجرد خروج فرنسا مكسورة الجناح دخلت أمريكا بكل خيلائها وجبروتها فنالها ما نال فرنسا، والذي لا شك فيه أن مستقبل الجزائر يحدد داخل الجزائر نفسها، ولن يستطيع أحد من الأعداء التأثير عليه إلا من خلال ثغرة موجودة في صفوف القوى الإسلامية المؤثرة، ولا يمكن إخفاء أن هناك ثغرات يحاول العدو النفاذ منها، فهل نعمل على سد هذه الثغرات؟ ونعمل بجد على الوصول الى الهدف المعلن وهو إقامة دولة إسلامية تحاول أن تسير على منهاج النبوة، أم نضيع في خضم الخلافات والأهداف القريبة التي قد تجعل من الخطوات الأخيرة أصعب الخطوات؟ وإذا كان جهاد الشعب الجزائري قد سرق منه قبل أكثر من ثلاثين سنة، فهل نكرر الخطأ، ونجعل غيرنا يحقق أغراضه على حسابنا، ففرنسا تريد أن تفشل المشروع الإسلامي في بدايته وإذا كانت أمريكا ترى استحالة ذلك فلا يعنى أنها لا تحاول إفشاله في مرحلة قادمة، فالحذر الحذر والبدار البدار إلى تحديد الأهداف وإعداد الوسائل ودراسة الواقع بإيجابياته وسلبياته، من أجل الخروج بتصور لحل المشاكل الداخلية التي تعترض سبيل الجهاد لإعادة الوجه الإسلامي المشرق لأرض المليون شهيد.

الساحة الجزائرية والنظام العالمي الجديد:

إن ما يجري في الجزائر قد فضح ما يسمى بالنظام العالمي الجديد وتبجح الغرب بالديمقراطية ودفاعه عنها حتى لقد بلغ بهم الأمر أن يصدروا قراراً في مجلس الأمن يخول أمريكا تشكيل قوة لغزو دولة (هايتي) مدعين أن هذا لمجرد إعادة الرئيس المنتخب ديمقراطياً وإسقاط النظام العسكري الحالي، ومن جانب آخر يحذر القس والسياسي الأمريكي جيكي جاكسون «نيجيبريا» من فرض حصار اقتصادي عليها إذا لم يسلم العسكريون الحكم لرجل الأعمال (مسعود أبيولا) الذي يعتقد أنه فاز في الانتخابات النيجيرية الأخيرة، ولا ينتهي العجب عندما نرى الدول الغربية تدعم في الوقت نفسه زمرة من العسكريين الذين قاموا بإنقلاب عطل المسار الانتخابي وشن حرباً على الذين فازوا في الانتخابات الجزائرية، ويبدو لي أنهم يرون أن الشعب الذي يعتمد في طعامه على المعلمات المستوردة يجب عليه أيضاً أن يحكم بأفكار معلبة مستوردة من الخارج أيضاً، ولما كان المسؤولون الفرنسيون يتبجحون بأنهم يسعون إلى محاربة الإرهاب في الجزائر حتى إنهم أخيراً أرسلوا ألف مظلي فرنسي بكامل سلاحهم إلى الجزائر مما يشكل بداية التورط الفرنسي المباشر فإنه من المستحسن عرض بعض الممارسات والوسائل التي يتبعها النظام في محاربة الشعب المسلم، وسنكتفي بمقتطفات من رسالة كتبها المحامي الفرنسي المعروف بدفاعه عن الجزائريين أيام حرب التحرير وبملاقاته الحميمة مع أركان النظام «جاك فرجس» وقد أختتم رسالته بكلمات يتبرأ فيها من أصدقائه القدامى الذين تخلوا عن المبادئ ومارسوا ضد الشعب نفس ممارسات المستعمر الفرنسي، فقال «لهؤلاء الذين ارتدوا على أنفسهم أقول: وداعاً للجزائريين إلى الأبد، جزائر المخلصين والمضطهدين، والضعفاء»

وحيث إن الرسالة طويلة ومليئة بالتفاصيل أختار منها لقطات معبرة منها شهادة إسماعيل منصوري الذي يقول:

جَرَدْنَا رجال الدرك من ملابسنا تماماً، وأوثقونا من أرجلنا وأيدينا وأحرقونا بنافثة لهب، وحقننا أحدهم بمادة في «القضيب»، لم نكن نملك أي جواب على أسئلتهم، فقد الكثير منا استخدام عضو من أعضائه، وقد أورد المؤلف لائحة طويلة بمن ماتوا تحت التعذيب نختر منم ما يلي:

١- محمد عمروش: سبعة وعشرون سنة ، مؤذن بمسجد النصر ، أغتيل من قبل الشرطة أمام المسجد بينما كان رافعاً يديه إلى فوق.

٢- سيد مقيرش: يلقب ب(محمد أمّانة) من كل سكان حي المدينة بالجزائر العاصمة لأمانته وثقته ، تم إيقافه من طرف رجال الدرك ببوزريعة» تحت إمرة (رئيس رقباء مساعد) توفي تحت التعذيب ، تم فتح تابوته رغم منع السلطات لذلك فوجدوا أن أعضائه قد قطعت بالمنشار الكهربائي. وقد تطورت أساليب النظام حيث عمدوا في الفترة الأخيرة إلى أسلوب العقاب الجماعي والتصفية العشوائية حيث إن قتل أحد عناصر الأمن في شارع أو في قرية يعني قيام قوات الأمن الخاصة «النجاء» باعتقال وتصفية مجموعة من الشباب حتى الذين لم يكن لهم دور في الحادث ، وهذا يدل على الطريق المسدود الذي وصل إليه النظام حيث يعتبر أن كل الناس ضده ، وبدون تمييز ومن الملاحظ أن قوات الأمن يقومون بتغطية وجوههم خوفاً من كشف شخصياتهم ، وهذا ليس بمستغرب فإنه إذا كان الحكام الفعليين في الجزائر غير معروفين تماماً: فكل من (بن جديد) و(بو ضياف) و(علي كافي) و(زروال) واجهات يتم إجبارها على الاستقالة أو قتلها أو تحييتها من قبل (المافيا الخفية) ، فإنه من الطبيعي أن يكون المرتزقة حريصين على عدم معرفتهم لحرصهم على حفنة من النقود التي تعطى لهم من المساعدات الدولية مع العلم أن المجدد العادي في الأمن يتقاضى أجراً أكثر من الطبيب مع انتشار البطالة حيث لم يعد أمام الشباب سوى الاضمام إلى قوات الأمن أو البقاء عاطلين ومعرضين للاعتقال أو الخروج إلى الجبال للانضمام إلى المجاهدين الذين نجحوا في إخراج النظام من كثير من المناطق حتى إن العاصمة بها مناطق محرمة على أعوان النظام ، وتدل عملية مهاجمة سكن السفارة الفرنسية التي كان يحرسها الدرك الفرنسي ومقتل خمسة من الدرك والدبلوماسيين وخروج المهاجمين بدون أي خسائر على الرغم من أن الحراسة مشددة في هذه المنطقة مما تدل على مقدار الفشل الذي يلاقيه النظام في إصراره ومن ورائه فرنسا على الحل الأمني ، أي القضاء على المجاهدين ، وكما يصرح المسؤولون الفرنسيون أخيراً أنهم يحضون الحكومة على إجراء الانتخابات في الوقت المناسب أي بعد تصفية الإسلاميين أو تحجيمهم. ولكن أتى لهم ذلك وكيف يثق بهم أحد بعد ما تسببوا في إدخال البلاد في نفق مظلم ، بتعطيلهم المسار الانتخابي ورفض خيار الشعب ، والله نسأل أن يعلي كلمته وينصر جنده إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

المسلمون والعالم

أدركوا مسلمي بورما

قبل قوات الأوان*

د. محمد يونس**

يتعرض إخواننا المسلمون في إقليم «أراكان» في بورما إلى حرب شاملة تقوم على القتل والتشريد والتعذيب ، مخالفة لكل الشرائع ومصادمة لما يسمى بحقوق الإنسان من قبل الطغمة الحاكمة البورمية البوذية ، وهذا موجز عن أوضاع هذا الشعب المسلم المضطهد ، وما يعانيه من حرب عنصرية شديدة يتناساها العالم ، لكن حين تتعرض زعيمة المعارضة البورمية لمضايقة بسيطة لا تصل إلى «واحد في الألف» مما يتعرض له المسلمون ، تقوم الدنيا ولا تقعد ، ويشنع على حكومة «رانجون» بدعوى مخالفتها لحقوق الإنسان ، أما المسلمون فلا مؤيد لهم ، وقد

سبق لمجلة «البيان» أن تطرقت بالتعريف بهذه المنطقة من خلال دراسة موسعة عن هذا الشعب في العدد (٥٢).

- البيان -

«أركان» المحتلة هي الدولة الإسلامية التي تكاد أن تُنسى من أذهان كثير من المسلمين مع مرور الأيام والسنين ، وهي تقع في جنوب غرب بورما البوذية والساحل الشرقي من خليج البنغال ، تحدها من الشرق سلسلة جبال أركان التي تعتبر امتداداً لجبال هماليا وتجعل أركان منفصلة تماماً عن بورما البوذية وتعطيها شكل وحدة جغرافية مستقلة ، كما تمتد حدودها من الشمال مع بنجلاديش نحو (١٧٦) ميلاً ، بينما يمتد ساحلها على خليج البنغال نحو (٣٦٠) ميلاً ، ويتجاوز عدد سكانها الأربعة ملايين ونصف المليون نسمة حوالي ٧٠% منهم مسلمون ، يعرفون باسم «الروهنجيا» و ٢٥% بوذيون يعرفون باسم «الماغ» ، ٥% أقلية أخرى من النصارى والهندوس وعباد الظواهر الطبيعية!

وما زال المسلمون يعانون الأمرين من القمع الذي تقوم به الحكومة البورمية البوذية منذ احتلال هذه المنطقة من قبل الملك البوذي (بودوبيه) عام ١٧٨٤ م وإلى الآن ومما يحذر ذكره أن أماكن المسلمين الروهنجيا ليست في أركان فقط ، وإنما في العديد من المواقع بما فيها العاصمة رانجون. وفي عام ١٩٩١ م استغلت حكومة بورما البوذية الأحداث التي حدثت بعد أزمة الخليج الثانية ، فاستأنفت مسلسل القتل والتعذيب والقتل والتشريد ضد مسلمي أركان الأبرياء ، واستمرت المجازر والمذابح ضدهم لا لشيء سوى إصرار هذا الشعب على عقيدته الإسلامية ومطالبته بالحرية والكرامة ((وما نعموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)) [البروج: ٥] فكان نتيجة لتلك المجازر الوحشية ، وسياسة انتهاك الأعراض الجماعية ، وتردي الأوضاع الأمنية ، أن اضطر أكثر من (٣٠٠) ألف مسلم روهنجيا من بينهم الأطفال والنساء وكبار السن إلى مغادرة ديارهم إلى دولة مجاورة هي «بنجلاديش» وقد أجبرت هذه الهجرة الجماعية المفاجئة بنجلاديش التي تعاني اضطرابات سياسية واقتصادية مستمرة على توقيع اتفاقية مع بورما نصت على:

- ١- العودة الفورية والسريعة للمهاجرين إلى ديارهم.
 - ٢- أن تقوم الحكومة البورمية بتعويض المسلمين عن كل ما فقدوه.
 - ٣- السماح لمسلمي أركان بحرية السفر والتنقل داخل البلاد وخارجها.
 - ٤- أن تصدر الحكومة البورمية بطاقة الجنسية للمسلمين فور عودتهم إلى بلدهم.
 - ٥- تعويض المسلمين عند استخدامهم قسراً عمالاً لبناء السدود والطرق.
- وفي الواقع أنه لم ينفذ أي بند من بنود هذه الاتفاقية بل العكس هو ما حدث فقد استبدلت القوانين العنصرية بأخرى أشد صرامة ، وأصبح التنقل للمسلمين في أركان أصعب من السابق ، وازدادت عمالة السخرة والاحتجاز القسري وحوادث القتل والتعذيب والاعتقالات واغتصاب النساء وإجبار الفتيات المسلمات على الزواج من البوذيين ، وإلحاح فيما يلي بعض النماذج من هذه الممارسات التي تركتها الطغمة البوذية الحاكمة ضد المسلمين في أركان فهي تساعد على إلقاء الضوء على الوضع المأساوي الذي يمر به المسلمون في هذا البلد المنسي:

من الناحية الدينية:

- ١- هدم المساجد وتحويلها إلى مراقص وخمّارات ودور سكن.
- ٢- يتعرض العلماء والدعاة وطلبة العلم للامتهان والضرب ، وإرغامهم على العمل في المعتقلات.
- ٣- عدم السماح للدعاة بالانتقال من مكان إلى مكان لممارسة الأنشطة الدعوية ، ولا يسمح بدخول العلماء والدعاة من الخارج لأعمال الدعوة والإرشاد بين إخوانهم المسلمين.

٤- مصادرة أوقاف المسلمين ومقابرهم وتحويلها إلى مراحيض عامة أو حظائر للخنازير والمواشي.
٥- يدخل أفراد الجيش البورمي البوذي في المساجد بأحذيتهم ونجاساتهم حاملين زجاجات الخمر تحدياً لمشاعر المسلمين.

٦- غير مسموح للمسلمين ببناء المساجد أو المدارس ولا إصلاح القديم منها كما لا يسمح لهم باستخدام مكبرات الصوت في الأذان.

٧- غير مسموح بأداء فريضة الحج للمسلمين من أركان باستثناء عدد قليل ممن ترضى السلطات البورمية البوذية عن سلوكهم ، وهذا من باب الدعاية أيضاً.

من الناحية الاجتماعية:

١- صدر في عام ١٩٨٢ م قانون جديد للجنسية والهجرة وبموجبه قرر أن شعب أركان المسلم شعب بلا وطن ، وليس لهم حق تملك أي عقارات في الدولة ولا ممارسة الوظائف في الدوائر والمؤسسات الحكومية.

٢- إجبار الفتيات المسلمات على الزواج من البوذيين.

٣- إصدار توجيهات من قبل السلطات البوذية بين وقت وآخر تهدف إلى تحويل المجتمع المسلم إلى مجتمع إباضي.

٤- تزويج الخمر وإشاعة الفاحشة بين أبناء المسلمين الشباب على نفقة الحكومة بالمجان.

٥- إرغام المسلمين على العمل بدون تعويض كبناء السدود ، وحفر الخنادق للجيش ، وحمل بضائعهم إلى المناطق الجبلية النائية.

٦- إقامة مستوطنات بوذية جديدة بين قرى المسلمين بهدف تغيير التركيبة السكانية في أركان ، وعلى وجه الخصوص في مناطق الكثافة السكانية للمسلمين.

من الناحية الاقتصادية:

١- مصادرة أراضي المسلمين وأوقافهم وإقامة معابد البوذيين ومستوطناتهم عليها.

٢- حجز قوارب صيد الأسماك التابعة للمسلمين ومصادرتها لأدنى سبب.

٣- عدم السماح للمسلمين ببيع محاصيلهم الزراعية ، مما يؤدي إلى خسارتهم.

٤- منع المسلمين من شراء الآلات الزراعية الحديثة لتطوير مشاريعهم الزراعية.

٥- عمليات السلب والنهب لأموال المسلمين تتم تحت إشراف عمال الحكومة.

٦- إلغاء العملات المتداولة بين وقت وآخر من دون تعويض المسلمين عنها

٧- إحراق محاصيل المسلمين الزراعية ، وقتل مواشيهم

٨- عدم السماح للمسلمين بإقامة أي نوع من الصناعة في أركان.

الموقف الحالي:

يتغلغل الخوف الدائم في قلوب الحكام البورميين من أن التنامي السكاني للشعب المسلم هناك ، لذلك يقومون بإكراه المسلمين على ترك شعائر دينهم واعتناقهم للحضارة البوذية وثقافتها ، وهذا يؤدي إلى منع المسلمين أن تقوم لهم قائمة ، وبالتالي ينجحون في مخططاتهم التي انتهجوها للقضاء على المسلمين منذ أول يوم لاستقلال بورما ، وللوصول إلى هذا الهدف فقد اتخذوا خطوات منها:

١- غير مسموح للنساء أن يتحجبن خارج المنزل.

٢- على النساء والفتيات المسلمات أن يخرجن للعمل في الحقول

٣- لا يسمح للشباب المسلمين بإعفاء لحاهم.

٤- غير مسموح للرجال المسلمين بارتداء زيهم المعتاد

٥- يجب على المسلمين الحصول على إذن مسبق قبل الزواج.

- ٦- إجبار الفتيات المسلمات على تناول موانع الحمل ، بينما ممارسة هذا العمل تعتبر خرق لقانون الدولة بالنسبة للبوذيات.
- ٧- غير مسموح للرجل المسلم أن يتزوج أكثر من واحدة.
- ٨- إرغام المسلمين على الانحناء للعلم البورمي.
- ٩- المراقبة المستمرة على المساجد والمدارس الدينية.
- ولمتابعة هذه الخطوات التعسفية وتنفيذها قرروا بأن المسلم الذي يعفي لحيته لا يقبض راتب عمله حتى يحلقها ، ولا يسمح له بركوب الباصات والقوارب ، والنساء اللاتي يخرجن متحجبات يمزق حجابهن ، ومنذ مطلع عام ١٩٩٤ م قامت حكومة «رانجون» البوذية باجراءات بشعة تجاه علماء الدين والقيادات الإسلامية في أراكان، في خطوة خطيرة ضد المسلمين هناك فقامت السلطات العسكرية بالقبض على عدد كبير من العلماء والمشايخ واعتدت عليهم بالضرب والسجن، وقامت سلطات السجن بخلق لحي العلماء والمشايخ وتشويه وجوههم ، ولم يكتفوا بهذه التجاوزات، بل وصل بهم الأمر إلى اغتصاب بنات هؤلاء العلماء والمشايخ على أيدي أفراد القوات البوذية المسلحة.
- وعلى صعيد آخر فقد تتابعت الأخبار الواردة من داخل أراكان بأن الطغمة الحاكمة البورمية البوذية لا تزال تصر على تكرار الأسباب والعوامل التي أدت بالشعب المسلم الروهنجيا إلى الهجرة والتشرد ، وعلى عدم اعترافها بهؤلاء المسلمين باعتبارهم مواطنين أصليين ، بالإضافة إلى امتداد عملياتها الإرهابية واجراءاتها التعسفية ، واعتقال زعماء المسلمين ، ونهب أموالهم واستباحة حرمانهم وإرغام سكان القرى والمدن من الرجال والنساء والأطفال وكبار السن كل يوم على العمل بدون أي تعويض ، كصرف الطرق في المناطق الجبلية ، وحمل أسلحة الجيش والعتاد إلى الغابات والمناطق الجبلية.
- كما أن الطغمة الحاكمة البوذية البورمية شكلت مؤخراً قوة خاصة باسم «الدفاع عن الحدود» (ناساكا) التي تضم رجال المخابرات السرية ووحدات انتحارية من الجيش ورجال الشرطة والجوازات ، لملاحقة المسلمين ، ووفقاً للنظام الأساسي الذي تشكلت بموجبه هذه القوة الخاصة ، فقد أعطيت امتيازات مثل حق تنفيذ أي عملية بدون إذن رسمي سابق من قبل الحكومة ، كما أن لها اتخاذ أي اجراءات تراها مناسبة ضد المسلمين دون الرجوع للقضاء أو المحاكمات ومقر هذه القوة ولاية أراكان المسلمة ، لتمارس فيها ما تشاء من الإيذاء وصنوف التعذيب والقتل ضد المسلمين ، ونفذت حتى الآن عشرات العمليات ضد المسلمين الأبرياء منذ أن تم تشكيلها وقتل خلالها عدد كبير من الشباب المسلمين وأودع مئات آخرون في السجون باتهامات باطلة ، وفي الوقت الحاضر صار العلماء المسلمون على وجه الخصوص هدفاً لحملات هذه القوة.
- وأخيراً قد اشتدت حدة اعتداءات الطغمة الحاكمة ضد المسلمين كثيراً ففي الأسبوع الأول من شهر مايو ١٩٩٤ م تم اعتقال عدة مئات من المسلمين عشوائياً في بلدي «مونغدو» وبوتهيدونغ» من بينهم (٦٤) امرأة وطفل ، وهم يواجهون الآن شتى أنواع التعذيب في السجون والمعتقلات.
- وعمليات التعذيب والظلم قد تتعدى حدود ما كانت في السابق ، فقد جرى اعتقال ثلاثمائة مسلم في الفترة من ٢٣-٢٥/٥/١٩٩٤ م بما فيهم بعض عمد قرى المسلمين والعاملين التابعين لهم ، وهم يتعرضون في المعتقلات لعمليات التعذيب على أيدي قوات (ناساكا) ، كما ذبح (١١) مسلماً من قبل هذه القوة الغاشمة في «مير الله» وهي منطقة قيادة «علي تانجو» جنوب بلدة «مونغدو».

كما أجبرت القوات المسلحة البورمية العاملة في جنوب بلدة "مونغدو" (٢٠٠٠ ر ٢٠٠٠) مسلم من سكان القرى على نقل أسلحة الجيش وبضائعه من مكان إلى آخر، كما استخدموا باعتبارهم دروعاً بشرية في العمليات العسكرية ضد المجاهدين وخلال تلك العمليات تم قتل عدد كبير من هؤلاء المسلمين والفلاحين العاملين في أراضيهم باتهامات كاذبة أنهم على علاقة بالمجاهدين. هذه هي الحالة التي يعيش في ظلها المسلمون، وبموجب حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» فإن مأساة أركان وقضية الشعب البورمي ليست مأساة وقضية شعب واحد، بل هي مأساة جميع الأمة الإسلامية، بل مأساة الإنسانية جمعاء. إن قضية هذا الشعب تشكل محنة مركبة ومضاعفة، وهي كارثة إنسانية كبيرة، وجريمة في حق المجتمع الدولي وضد القانون الدولي، وإن إبادة جنس بشري أو فئة معينة داخل بورما لا يعتبر شأناً داخلياً يخص بورما وحدها، لأنه يتعلق بحقوق الإنسان التي ينص عليها ميثاق الأمم المتحدة، ويزعم الغرب أنه يدافع عنها.

فنناشدكم يا إخواننا أن تقوموا بواجبكم تجاه هؤلاء المسلمين المضطهدين في رانجون على إيقاف ممارساتها التعسفية وممارساتها القمعية وحملات الإبادة المنتظمة ضد المسلمين هناك، كما نناشد من خلال مجلة «البيان» الجهات المسؤولة في كل بلد مسلم أن تقف وراء شعب في أركان في كفاحهم لاستعادة حقوقهم المغصوبة من الاستعمار البوذي البورمي وأن تمارس كافة الأساليب السياسية والدبلوماسية والاقتصادية للحد من ممارساتها العدوانية تجاه هؤلاء المسلمين العزل، كما نأمل تسهيل وسائل التعليم والمعاش والتنقل لهم ولأولادهم ((وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر)) [الأنفال: ٧٢]

((واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين)) [هود: ١١٥].

من أخبار مجاهدي الروهنجا:

وردنا من الأستاذ «سعيد الرحمن» أمين عام منظمة تضامن الروهنجا ما يلي من آخر أخبار المجاهدين هناك:

١- وقعت دورية مؤلفة من (٣٥) جندياً في كمين أعده مجاهدو المنظمة في ١٩/٥/١٩٩٤ م شمالي قرية «فانسي» التي تبعد (٤٨) كم شمال مدينة «بوتسمي دونغ» في محافظة «أراكان»، وقد قتل (١١) جندياً بورمياً في الكمين والجدير بالذكر أن القوات البورمية العاملة في جنوب مدينة «مونج داو» أجبرت حوالي (٢٠٠٠ ر ٢٠٠٠) مسلم من سكان القرى على نقل الأسلحة والقيام باستخدامهم باعتبارهم دروعاً بشرية في العمليات العسكرية ضد المجاهدين، وقتلت خلال العملية هذه عدداً من الفلاحين بحجة أنهم من المجاهدين الروهنجا.

٢- بتاريخ ١٥/٦/١٩٩٤ م قامت مجموعة من مجاهدي الروهنجا بمحاصرة ومهاجمة دورية تابعة للجيش البورمي في الموقع العسكري في «خاندونج» بينما كانوا يستريحون في مضافة القرية شرقي فومالي على بعد (٦) أميال جنوب شرق «بوتيدونج»، وقد قتل (٧) من أفراد الدورية الثمانية فوراً، واستولى المجاهدون على أسلحتهم، ثم قامت قوات المجاهدين بنصب كمين للقوة الحكومية المساندة، وحدثت مواجهة ثانية مع القوات المتقدمة قتل خلالها عنصر من القوات البورمية واضطرت باقي القوة إلى التراجع حاملة معها بعض الجرحى، وعادت قوات المجاهدين إلى قواعدها سالمة.

الهوامش:

*من بيان منظمة (الروهنجيا) أركان بورما بتصرف بسيط ولها مجلة التضامن صوت المنظمة باللغة العربية وهي تستحق الاشتراك فيها لمساعدتها بالدعم لتواصل رسالتها في الدعوة والتعريف بالمسلمين هناك ، وعنوانها:

Yunus Mohammed .Dr c/o

٧٩٥ Box .O.P

Bangladesh Chittagong,

**هو رئيس منظمة تضامن الروهنجيا الإسلامية.

المسلمون والعالم

العمل الإسلامي في إفريقيا

حوار مع د/ عبدالرحمن السميث

التحرير

العمل الإسلامي الخيري بأنواعه المختلفة (الإغاثي التعليمي الدعوي... ونحوها) عمل جديد نسبياً ، ولكنه خطى خطوات متسارعة في السنوات الأخيرة.. فكيف تقومونه ، مع إيجابيات العمل وسلبياته؟

خلال الخمس عشرة سنة الماضية شهدت الساحة الإسلامية نمواً كبيراً جداً للعمل الخيري ، ورغم التوفيق الذي حالف الغالبية العظمى من هذه المنظمات بفضل من الله سبحانه وتعالى ، وذلك من خلال ما حققتة من نجاح طيب في كثير من الميادين ، إلا أنني أود أن أركز هنا على نماذج من السلبيات التي حدثت والتي أتمنى أن نقوم نحن العاملين في المؤسسات الخيرية بمراجعة أنفسنا وتصحيح هذه الأوضاع الخاطئة ، ومنها على سبيل المثال:

أولاً: بدأت تبرز عند البعض روح الانتماء للمنظمة التي يتبعها حتى طغت على روح الانتماء للإسلام ، مما أثر على العمل الإسلامي في المناطق التي يعملون بها ، وأحياناً يحدث هذا بحسن نية ونادراً ما يحدث بصورة أخرى. ودعني أضرب لك مثالاً:

قامت بزيارة لمنطقة نائية في شمال كينيا ، واكتشفت وجود قبائل أصلها إسلامي ، ولكن لا يوجد بينهم دعوة إسلامية منظمة ، وكان يوجد شخص من المدرسين الحكوميين يقوم بتدريس مادة الدين الإسلامي في بعض المدارس الثانوية ، و كان لديه استعداد طيب ، وبدأ فعلاً في الدعوة في وسط هذه القبائل ، وكنا بحاجة له للتفرغ للدعوة الإسلامية ، ولكن ظننا أننا لو سحبناه من المدارس ستصبح بدون مدرسين مؤهلين ، وبخاصة وأن التعيينات الآن في تلك المدارس صعبة جداً ، مما يعني بقاء الطلبة في المرحلة الثانوية بدون توجيه إسلامي ، فتركناه على وظيفته على أن يعمل في أيام العطل معنا في الدعوة ، وفوجئنا بإحدى المنظمات تعرض عليه راتباً خيالياً وتنقله إلى مكان آخر ، بينما كان بالإمكان تعيين أي شخص بديل له في ذلك المكان ، ومن السهل وجود أشخاص بديلين عنه هناك ، ونجم عن ذلك أن أصبحت المدارس بدون دعوة ، وكذلك القرى التي كان يزورها ويدعو الناس فيها فقدته أيضاً ، وأعتقد أن هذا التصرف ناتج من أن الأخوة لم يروا إلا من زاوية ضيقة (من وجهة نظر مصلحة المؤسسة التي يعملون بها فقط) ، ولهذا نجد تنقلات كثيرة بين المؤسسات الإسلامية أعتقد أن أشد المنظمات ضرراً على العمل الإسلامي هم أولئك الهواة الذين يأتون وفي جيوبهم كثير من المال ، ويعرضون الرواتب الخيالية في الأزمان ، ثم ينسحبون بمجرد

أن تنتهي الأزمة ، ويبقى هؤلاء الموظفون مشردين بدون وظيفة ، وقد حصل هذا في المجاعة التي أصابت الصومال وشمال كينيا ، حيث يوجد عدد غير قليل ممن كانوا موظفين في الحكومة وفي غيرها ، وتم إغراؤهم برواتب خيالية فاستقالوا من وظائفهم للعمل في بعض المؤسسات ، واستغنت عنهم تلك المؤسسات بعد انتهاء المجاعة ، فأصبحوا يمدون أيديهم إلى الناس طلباً للإحسان بعد أن كانت لديهم وظيفة يستطيعون أن يخدموا الإسلام من خلالها.

ثانياً: ومن السلبيات تدافع المنظمات للعمل في نفس المكان ، وكما كنت أتمنى لو قمنا بالابتعاد عن أي مكان توجد فيه إحدى المنظمات الإسلامية والانتقال إلى أماكن أخرى ، فإلى ساحة تستوعب الجميع ، وما حدث في مجاعة الصومال مثال على ذلك حيث تركز عمل أغلب المنظمات الإسلامية في منطقة مقديشو وما حولها ، وها نحن نرى تدافعاً للمنظمات الإسلامية في بعض المناطق مع إهمال كامل لمناطق أخرى ، فموزمبيق مثلاً يوجد بها ست منظمات رغم محدودية العمل ورغم أن أغلب المنظمات لم تقدم شيئاً ملموساً حتى الآن لإخوانهم المسلمين ، ورغم المشاكل الإدارية التي تكتنف عمل بعض المؤسسات الإسلامية ، بينما دولة مثل غينيا الاستوائية التي فيها أعداد كبيرة من المسلمين ، ومثل نيجيريا والكميرون والكنغو لا يوجد فيها حضور حقيقي لمنظمات ميدانية تقدم عملاً خيرياً في هذه المناطق إلا ما ندر.

ثالثاً: إصرار بعض المنظمات رغم العجز الإداري الموجود لديها على التوسع بدون حدود ، مما أوجد خلخلة في أعمالهم ، فنجد بعض العاملين يبقون أشهراً طويلة بدون رواتب وبدون تعليمات ، دعك من الزيارات الميدانية التي يفترض أن يقوم بها العاملون في المكاتب الرئيسية للاطلاع على مشاكل مكاتبهم في مختلف المناطق ، وهذا أوجد إحباطاً في نفوس إخواننا من الدعاة في هذه المناطق مما عاد بسلبيات كثيرة على العمل الخيري.

رابعاً: عدم قيام بعض المنظمات الإسلامية بتدقيق المحاسبة بشكل يضمن وصول المساعدة إلى المحتاج فعلاً ، كما قرر المتبرع ، مما أوجد فئة من الناس ممن قلت تقواهم فأصبحوا يجتهدون في هذه الأموال ، وأصبحت الحدود غير واضحة في أعينهم بين المصالح الشخصية ومصالح الإسلام وهناك سلبيات كثيرة تحتاج إلى وقت أطول ومجال أرحب.

***العمل الخيري من الأعمال الشاقة المجهدة.. فما هي الصعوبات الرئيسية التي ترون أنها تواجه العمل الخيري ، وكيف يمكن تجاوزها أو التقليل من آثارها؟**

كثير من العاملين في العمل الخيري يدعون أن المشكلة الرئيسية هي المال وأنا أعتقد أن غالبية المؤسسات الإسلامية لديها مشكلة مالية ، ولكن المشكلة ليست في قلة الأموال ولكن في تخمة الأموال التي لا تستطيع أن تضعها في موضعها الصحيح ، والمشكلة الرئيسية في نظري هي إدارة العمل الخيري حيث لا يوجد أشخاص مؤهلين للعمل في المؤسسات الخيرية الإسلامية نتيجة حداثة عهدها ، وهناك أيضاً انعدام الرقابة الميدانية عند بعض المؤسسات التي مدت جذورها بشكل كبير في وسط المتبرعين ونست الزيارات الميدانية وأهميتها في الرقابة الإدارية والمالية ، كما أن هناك صعوبة يجب أن لا نغفلها ، وهي عدم وجود الغطاء السياسي للعمل الخيري الإسلامي ، فالدول الإسلامية بصورة عامة دول ضعيفة أو دول لا تود الدخول في إشكالات سياسية لحماية العمل الخيري الذي ينبع من دولها ، بينما نجد أنه ما أن تمس مؤسسة أمريكية أو ألمانية أو إنجليزية إلا وتقوم قيامة حكومات تلك الدول وتتدخل لدى أعلى المؤسسات الحكومية في إفريقيا وجنوب شرق آسيا ، لصالح العمل الخيري الذي تقوم به المؤسسات الغربية ، بينما نحن المسلمين كالأيتام على موائد اللئام وأضرب لك مثلاً بلجنة مسلمي إفريقيا ، وهي ليست فريدة في ذلك حيث قتل العديد من دعائنا في عدد من الدول مثل الصومال وليبيريا وسيراليون وموزمبيق وغيرها ، وإطلاق النار على مؤسساتنا

شيء لم يعد يثيرنا بسبب كثرة ما يحدث ولا نستطيع أن نلجأ إلى أي جهة لتقوم بحمايتنا ، بل إنه حتى في الصومال برزت النعرات الوطنية والإقليمية بشكل مزعج ، فأنت عندما تطلب قوات لحماية الإغاثة التي تنقلها من مكان إلى آخر ، يقول لك المسؤول هناك: أنك لست تابعاً لبلدي ولا أستطيع أن أحميك ، بينما هو يقوم بحماية الإغاثة التابعة لمؤسسات نصرانية باسم الأمم المتحدة ، وكنت أتمنى أن نحس بالوحدة الإسلامية أولاً ، وبالوحدة الخليجية ثانياً في حماية المؤسسات الخيرية الخليجية بصورة خاصة ، والمؤسسات الإسلامية الأخرى بصورة عامة ، بغض النظر عن هذه الحدود المصطنعة التي وجدت بين دولنا.

***التخطيط والتدريب والمتابعة.. من الدعامات الرئيسة لنجاح العمل الخيري ، فما هي مرئياتكم حيال هذا الموضوع؟**

أعتقد أن العمل الإسلامي الخيري إذا أريد له النجاح فلا بد له من وضع خطة مستقبلية مع تقييم لما نفذ من هذه الخطة على مراحل ، ويكون هذا التقييم بإجراء محاسبة إدارية ومالية دقيقة في المكاتب الرئيسة ، بالإضافة إلى زيارات ميدانية دورية لأمكنة العمل ، حيث لاحظنا أن بعض المؤسسات الخيرية تعتمد على الإدارة من بعيد دون أن تعلم ماذا يحدث في الميدان حقيقة ، بل إنها تعتمد اعتماداً كلياً في اتخاذ بعض القرارات المهمة على التقارير التي تصلها. أما مشكلة التدريب ، فمع الأسف الشديد قليل من المؤسسات التي تقوم بدورات تدريبية ولكنها لا تكون على المستوى المطلوب ، وينعكس ذلك على مستوى العمل مما يجعل بعض العاملين يتحدثون عن أمور يجهلون.

***للمنظمات التنصيرية خبرات طويلة وإمكانات هائلة وجهود جبارة في العالم الإسلامي.. فمن خلال خبرتكم في إفريقيا هل لكم أن تذكروا لنا بعض الإحصائيات لحجم هذه الأنشطة ، وما هو دور المؤسسات الإسلامية في مواجهة المد التنصيري؟**

الإحصائيات موجودة في المراجع الأجنبية وبخاصة المراجع التنصيرية وأضرب مثلاً بكنيسة «المرمون» التي زاد عدد أتباعها أكثر من ١٦ % خلال السنوات الأربع الماضية في إفريقيا ، كما أن الكنيسة الكاثوليكية تبذل عشرات الملايين من الدولارات على العمل التنصيري في إفريقيا ، حيث ازداد عدد الكاثوليك وهم فئة من فئات النصارى ما بين عام ١٩٨٠ إلى عام ١٩٩٤ م من ٥٢ مليون إلى ٩٢ مليون ، والمعروف أن البابا الحالي زار إفريقيا لأول مرة في عام ١٩٨٠ م ثم زارها بعد ذلك عشر زيارات ويوجد حالياً ٥٥ ألف طالب يدرسون الرهبنة الكاثوليكية في إفريقيا ويوجد حالياً ٢٠٧٠٠ قسيس و ٤٢ ألف راهبة ، يساعدهم ٢٦٤ ألف مساعد ديني متفرغ للقسس في أعمالهم الدينية اليومية ، فإذا كان هذا في إفريقيا وحدها ، فما بالك في المناطق الأخرى ، ولوحظ كذلك أن رجال الكنيسة بدأوا الدخول في السياسة بدعم من الفاتيكان ، رغم أن الفاتيكان ينفي ذلك تماماً ، ولكن من الواضح جداً أنه لا يمكن أن يقوموا بما قاموا به من تدخل سياسي بدون هذا الدعم الخفي من الفاتيكان ، وكمثال على ذلك ، هناك خمس دول يرأس المجالس الوطنية أو البرلمانات بها قسس كاثوليك برتبة أسقف في غرب إفريقيا ، وقد كانت البداية في «بنين» حينما أصبح الأسقف «إيسادور ديسوزا» رئيساً للبرلمان في عام ١٩٩٠ م ، ثم حدث نفس الشيء في الكونغو والغابون والتوغو وزائير ، ويرأس الحركة الانفصالية في جنوب السنغال قسيس كاثوليكي ، كما أن الكنيسة الكاثوليكية متورطة حتى أذناها في الحركة الانفصالية في جنوب السودان ويقوم «جون قرنق» أثناء زيارته إلى نيروبي نصف المدة في كنيسة كاثوليكية في ضواحي نيروبي ، والنصف الثاني في كنيسة بروتستنتية ، وبكل وضوح يقوم بهذا العمل بينما تدخلت الدول الغربية لتحريم إقامة أي حزب على أساس ديني في خمس دول ذات أغلبية إسلامية ، وهي موريتانيا ، والنيجر ، وتشاد ، والسنغال ، وغينيا كوناكري ، حتى لا يكون للإسلام صوت في السياسة ، وحسب إحصائيات المجلة الدولية لأبحاث

التبشير وهي مجلة علمية أمريكية فإن ما تم جمعه خلال عام واحد لصالح الكنيسة في شمال أمريكا وغرب أوروبا بلغ ١٨١ مليار دولار ، ويوجد لديهم ٢٠٥٠ محطة إذاعة وتلفزيون ، ويملكون في دولة مثل أندونيسيا ٦٤ مطار ، ويمكن من هذا أن نقدر عدد الطائرات التي يملكونها.

***صلة القارة الإفريقية بالإسلام صلة قديمة جداً ، وقد كان للغة العربية حضور مبكر في القارة ، ولكن استطاع الاستعمار استبدال اللغة العربية وحروفها باللغات الغربية والأحرف اللاتينية.. فهل لكم أن تذكروا لنا بعض تلك الجهود في ذلك؟**

الإسلام لم ينزل على إفريقيا (بيراشوت: مظلة) وإنما له جذور عميقة ، فمنذ هجرة الحبشة الأولى التي دخل بها الإسلام إلى إفريقيا قبل أن يدخل إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وقد اكتشف قبل مدة مسجد في جزيرة «باتي» في شرق كينيا عمره ١٣٥٠ سنة ، واكتشف مسجد له نفس العمر في شمال زنجبار وفي جزيرة «مببا». وفي زيارتي الأخيرة إلى «مدغشقر» وجدت كثيراً من الآثار الإسلامية التي يعود تاريخها لأكثر من ألف سنة ، ويذكر أحد الباحثين الغربيين أنه وجد قبراً في زيمبابوي كتب عليه:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

«هذا قبر سلام صالح الذي انتقل من الدار الفانية إلى الدار الباقية عام ٩٥ من هجرة النبي العربي»

وهناك قرائن تثبت أن العرب كانوا قد سكنوا جنوب إفريقيا قبل الرجل الأبيض ، بل قبل الرجل الأسود ، وأقصد جمهورية جنوب إفريقيا التي كانت عنصرية ، وإلى عهد قريب جداً كان الحرف العربي هو الحرف الذي كان يستخدم في الكتابة في إفريقيا بدون منافس ، حتى جاء الاستعمار والتنصير الغربي في منتصف القرن الماضي ، وأخذ يحارب الحرف العربي لأنه ينتمي إلى لغة القرآن ، واستطاع أن يغير كثيراً من اللغات ، من أواخر اللغات التي غيرت من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني لغة «الهاوسا» في شمال نيجيريا ، واللغة الصومالية وغيرها ، وكانت اللغة العربية لغة رسمية في كينيا إلى عام ١٩٦٤ م ثم ألغيت ، ومع الأسف الشديد فإن العرب لا يقدمون شيئاً للدفاع عن لغتهم ، حينما قام أحد الوزراء ذوي التوجه الإسلامي في السنغال بإلغاء اللغة الألمانية في بعض المعاهد نظراً لعدم الحاجة لها ، تدخلت ألمانيا وقطعت جميع المساعدات حتى اضطر أصحاب القرار هناك لإقالة هذا الوزير ، وفي «تشاد» تم إقرار اللغة العربية لغة رسمية ، ولكن رغم هذا لم تتقدم أي دولة عربية بإرسال مدرس واحد للغة العربية في المدارس التشادية ، ولذلك بقيت اللغة العربية لغة رسمية حبراً على ورق ، وحتى الإذاعة العربية فكانت إلى عهد قريب تبث لمدة ربع ساعة فقط ، بينما الإذاعة باللغة الفرنسية تبث لعدة ساعات نظراً لعجز الإذاعة العربية عن توفير برامج ومعدات تحتاج إليها ، وقد صدر منذ شهر قرار من تشاد بأن تكون جميع اللافتات في الدوائر الرسمية باللغة الفرنسية واللغة العربية ، ورغم هذا لم تجد أي تشجيع من الدول العربية لذلك.

***كيف بدأت صلتكم الشخصية بإفريقيا ، وما هي العقبات الأولى التي واجهتكم في العمل ، وما أبرز نشاطات لجنة مسلمي إفريقيا؟**

أذكر منذ كنت أعمل في كندا في السبعينات أنني أقيت محاضرة على مجموعة من الطلبة المسلمين في أمريكا عن جهود التنصير ، وتحمس الأخوة وطلبوا مني أن نفعل شيئاً ، فاقترحت في محاضرة أخرى أن يدفع كل طالب مبلغاً يتراوح ما بين نصف دولار إلى دولار شهرياً وبصورة مستمرة ، ثم يجمع ذلك المال ونطبع به كتباً ونوزعها في الدول المحتاجة وبخاصة في إفريقيا ، وعندما عدت إلى الكويت بعد انتهاء دراستي وتدريري شعرت بأن العمل الطبي لا يستوعب طاقاتي ، وحصلت على بعض التشجيع من بعض المسؤولين ، ونحمد الله سبحانه وتعالى أن تبرعت لنا

إحدى المحسنات لبناء مسجد ، فذهبنا إلى «ملاوي» لبناء المسجد ، وما وجدناه هناك كان يدمي القلب ، وعلى إثرها كنت أحد المؤسسين للجنة مسلمي إفريقيا ، وقررنا منذ البداية أن نعمل بشكل علمي بحث ، وأن لا ننظر في الحالات الفردية ، وأن ننظر إلى المجتمع الإسلامي ككل ونحاول أن ننميه ، فنحن لا نساعد شخصاً بذاته لأنه محتاج للمال أو لغيره ، ولكن نحاول أن نبني المؤسسات التعليمية والصحية والاجتماعية والإغاثية لهذه المجتمعات ، وأذكر أنه في أول ثلاثة اجتماعات كنا بأمس الحاجة إلى ٥٠٠ دولار ولم نستطع أن نجتمعها ، ولكن بعد ذلك نحمد الله سبحانه وتعالى على أننا قد تجاوزنا الامتحان في هذا الجانب في الأيام الأولى من بداية عملنا حتى أصبحت الآن لجنة مسلمي إفريقيا أكبر منظمة عالمية متخصصة في العمل الإسلامي في إفريقيا حيث يغطي عملها أربعين دولة في إفريقيا ولها مكاتب متعددة هناك ولدينا ٣٢٨٨ داعية متفرغاً وهو عدد يفوق ما لدى جميع الدول العربية المشتركة ، ولدينا أكثر من نصف مليون طالب يدرسون في ٨٤٠ مدرسة تديرها لجنة مسلمي إفريقيا عبر مكاتبها الميدانية ، وحفرنا ٧٦٠ بئراً ، ولدينا أكثر من ٢٠٠ طالب يدرسون الدراسات العليا وبخاصة في مجال الطب والهندسة والعلوم في عدة جامعات في الدول العربية والأجنبية ، كما قمنا بترجمة وطباعة وتوزيع أكثر من ٥,٦ مليون كتيب إسلامي بـ ١٨ لغة وبالطبع لدينا إذاعة للقرآن الكريم وهي الإذاعة الإسلامية الوحيدة التي تمتلكها منظمة إسلامية ، وتغطي ١٦ دولة إفريقية في غرب إفريقيا ومقرها «سيراليون» وتبث بعشر لغات ، وقد أسلمت عدة قرى ومناطق بسبب سماعها للإسلام حيث لم تكن قد وصلت الدعوة الإسلامية من قبل ، ومع الأسف الشديد فإن هذه الإذاعة تعاني من مشاكل مالية بعد أن استمرت عشر سنوات في البث بدون انقطاع.

في دائرة الضوء

الكتاب الإسلامي: وقفات نقدية ودعوة للارتقاء نحو الأفضل

أحمد بن عبدالرحمن الصويان

انتشر الكتاب الإسلامي انتشاراً واسعاً ، وأصبحت له الصدارة في دور العرض والنشر ومعارض الكتاب الدولية والمحلية ، وسجلت مبيعاته أرقاماً قياسية منقطعة النظير ، وساعد في انتشاره تطور آليات النشر والطباعة تطوراً مذهلاً ، فأصبحت دور النشر تقذف بسيل متدفق من الكتب بألوانها البراقة وعناوينها الجذابة ، وأصبح المتابع للجديد يعجز عن الإحاطة بذلك ، وبخاصة مع فوضى الكتابة والنشر ، وغياب المؤسسات العلمية التي تنظم ذلك وتحتويه أو تتبنى الكتب المتميزة بعد دراستها وتقويمها.

وأمام هذا الركام المتتابع من الكتب تضيع الكتب العلمية الجادة التي يكتبها أهل القدرة والإتقان ، وبخاصة إذا لم يكونوا من أصحاب الأسماء اللامعة المشهورة ، ويظهر هذا جلياً مع غياب القارئ الناضج غالباً الذي يملك قدرة نقدية تؤهله للتمييز بين الغث والسمين ، حيث أصبح كثير من القراء كالتائه الغريب لا يدري أين يتجه..!

وعلى الرغم من العمر الطويل نسبياً للصحة الإسلامية المعاصرة ، إلا أن القدرة العلمية لكثير من أبنائها لم تنضج بعد ، ويظهر ذلك في العقلية الهشة التي نشاهدها في المنظومة الثقافية السائدة

هنا وهناك. مع أنّ أبناء الصحوة مقارنة بغيرهم أكثر الناس ثقافة واهتماماً بالقراءة وإقبالاً عليها بمختلف تخصصاتها.

وللمادة المكتوبة المعروضة في الساحة تأثير كبير جداً في صنع وتشكيل فكر القراء ، وتقويم هذه المادة وتحليلها ضرورة ملحة تساهم في إثراء المعرفة العلمية وترشيدها ، وفي هذه الورقات سوف أقف وقفات عابرة عند بعض الكتابات الإسلامية الحديثة ، لعلها تساعد في تسديد النقص وتقويم الخطأ.

الوقفة الأولى: في أهداف التأليف:

أولاً: التجديد والإبداع:

تختلف أهداف التأليف من كاتب إلى آخر، ولكن من السمات الظاهرة في الكتابات الإسلامية غياب الإبداع والتجديد ، فالكتابة الأصيلة الجادة التي تقدم إضافة علمية جديدة قليلة جداً ، إذا قورنت بالعدد الكبير الذي تنتجه المطابع ، فمعظم الكتابات تكرر واجترار لا جديد فيها ، فالمسألة الواحدة تجد فيها عشرة كتب مثلاً أو أقل أو أكثر كلها تدور حول أفكار واحدة وتعرض بطرائق متشابهة ، وقد لا أبالغ إذا قلت وباستخدام مفردات وجمل وشواهد واحدة..! وهذا ناتج في كثير من الأحيان عن عجز بعض الكتاب وافتقارهم لآلية الكتابة وأدواتها ، والإبداع لا يأتي من فراغ ، فهو ثمرة لتراكم مجموعة كبيرة من العلوم والمعارف والخبرات وكثرة الكتب في الموضوع الواحد لا تدل على أنه أعطى حقه من الدرس أو أنه بحث بحثاً متكاملًا ، بل إنّ ذلك قد يتطلب مزيد بحث وتأصيل ، إمّا لأنّ الكتابات السابقة كلها أو بعضها ضعيفة ، أو أن الموضوع واسع ولم تستوعب جميع أطرافه ومسائله.

ولا يعني هذا أنّ كل كاتب مطالب بأن يأتي بأفكار جديدة دائماً ، ولكن إذا لم تكن الفكرة جديدة فليس أقل من التجديد في أسلوب العرض والمناقشة والتحليل.

قال الإمام النووي في بيان آداب التأليف: «وينبغي أن يكون اعتناؤه من التصنيف بما لم يسبق إليه أكثر ، والمراد بهذا ألا يكون هناك مصنف يُغني عن مصنفه في جميع أساليبه ، فإن أغنى عن بعضها فليصنّف من جنسه ما يزيد زيادات يحتفل بها مع ضمّ ما فاتته من الأساليب» (١).

وقال صاحب الأزدي: «لا ينبغي لمصنّفٍ يتصدى لتصنيف أن يعدل عن غرضين: إمّا أن يخترع معنى ، وإمّا أن يبتدع وضعاً ومبنى ، وما سوى هذين الوجهين ، فهو تسويد الورق ، والتحلي بحلية السرف» (٢).

وقال حاجي خليفة: «ثم إن التأليف على سبعة أقسام ، لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها ، وهي: إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه ، أو شيء ناقص يتممه ، أو شيء مغلق يشرحه أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه ، أو شيء متفرق يجمعه ، أو شيء مختلط يرتبه ، أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه» (٣).

وجماع هذه المقاصد التأكيد على ضرورة الإتيان بالجديد ، والحرص على الإبداع والابتكار ، والذي ينبغي تأكيده أنّه على الرغم من كثرة الإصدارات وتتابع المطبوعات الحديثة ، إلا أنّ الأصيل النافع هو الذي بقي والزمن كفيل بإماتة الغناء ، قال الله تعالى: ((فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)) (سورة الرعد: الآية ١٧).

ويعجبني في هذا السبيل موقفان رائعان:

الموقف الأول: قال المفضل بن محمد بن حرب المدني: «.. ثم إنّ مالكا عزم على تصنيف الموطأ ، فصنّفه ، فعمل من كان في المدينة يومئذ من العلماء الموطآت ، فقيل لمالك: شغلت نفسك بعمل هذا

الكتاب وقد شارك فيه الناس وعملوا أمثاله ، فقال: ائتوني بما عملوا ، فأتي بذلك. فنظر فيه ثم نبذه ، وقال: لتعلمنَّ أنه لا يرتفع من هذا إلا ما أريد به وجه الله. قال المفضل: فكأنما ألقيت تلك الكتب في الآبار وما سمع لشيء منها بعد ذلك بذكر! «(٤)». الموقف الثاني: قال البويطي لشيخه محمد بن إدريس الشافعي: «إنك تعنتني في تنظيف الكتب وتصنيفها ، والناس لا يلتفتون إلى كتبك ولا إلى تصنيفك ، فقال: يابني إن هذا هو الحق ، والحق لا يضيع» (٥)

ثانياً: التنظير الثقافي

بعض الكتابات الإسلامية تميل إلى التنظير الثقافي ، ولا يتم تنزيلها على أرض الواقع الذي تعيشه الأمة ، فهناك فجوة عميقة فسيحة بين الهم الثقافي والمعاناة اليومية التي تعيشها الأمة الإسلامية ، وإنَّ التجريد والإغراق في التنظير ، وتحويل الكتابة إلى متعة ثقافية أو أطروحات فنية ، لا يخدم الدعوة الإسلامية بحال ، فما لم تتحول الأطروحات الثقافية إلى مشروعات عمل وإنجازات مشاهدة ملموس فإنها تبقى كلمات باردة لا حياة فيها.

إنَّ الكتابة الإسلامية ليست صنعة يتكسب بها المرء ، أو هواية يشغل بها وقته ، وإنما هي إحساس بالمسؤولية ينبض بمشكلات الأمة واحتياجاتها ، ومن ثم فإن الكاتب الناجح هو الذي ينزل من صومعته الفكرية وبرجه العاجي ويتلمس هموم الناس وأحاسيسهم ، ولا بد من تفاعل وتواصل يتسم بالحيوية والجدية بين الكاتب والقارئ ، ولكن مع الأسف الشديد لازال الخطاب الإسلامي بعيداً عن رجل الشارع ، وهو أقرب إلى السلبية والارتجال ، منه إلى الإحساس بواقع الأمة.

لقد غلبت عزلة الكتاب الإسلامي عن الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، فهو لا يقدم الأطروحات العلمية التي تنطلق من المستجدات المتلاحقة التي تمر بها الأمة الإسلامية ، والتي تفرزها بيانات متباينة سياسياً واجتماعياً ، فالدراسات الشرعية الحديثة المتخصصة في الفقه والتوحيد ، ونحوهما اقتصرت على التحقيق والترتيب والتبويب والاختصار ، ونحو ذلك. وهذه مطالب في غاية الأهمية ، ولكنها قصرت تقصيراً واضحاً في معالجة احتياجات العصر ومستجداته. ففي مجال الدراسات العقديّة ، قل أن تجد دراسات متخصصة لمناقشة الفلسفات الغربية المعاصرة ، التي ملأت الساحة بضجيجها ، وقل أن تجد دراسات متخصصة للرد على دعاة التغريب والحداثة ، وما بعد الحداثة ، ونحوها.

ومما يلزم ذكره أنّ أئمتنا وأسلافنا رضي الله عنهم كانوا يعالجون القضايا التي احتاجت إليها عصورهم ، فقضية الإمام الشافعي ، تختلف عن قضية الإمام أحمد بن حنبل ، وتختلف عن قضية الإمام ابن تيمية ، وإن كانت كلها تجتمع في إطار واحد أما نحن فقد وقفنا عند قضايا المتقدمين ، ولم نهتم الاهتمام اللازم بقضايا عصرنا التي تحيط بنا من كل مكان ، فعصرنا الذي نعيش فيه وإن كانت قضاياها تشارك بعض قضايا هؤلاء الأئمة في بعض المسائل - إلا أنه قد استجدت فيه مسائل وأحوال كثيرة تحتاج إلى اجتهادات جديدة ومعالجات علمية مستفيضة ينهض بها علماء الأمة ومجتهدوها.

وأما في مجال الدراسات الفقهية فهناك قصور بيّن في دراسة فقه النوازل ، مثل: (المعاملات المالية المصرفية بتعقيدها الكثيرة ، التأمين ، العلاقات الدولية.. ونحوها). وإن كانت هناك إسهامات محمودة مشكورة في هذا الميدان ، لكنها لا زالت قليلة وتحتاج جهداً أكبراً

وأما في مجال السياسة الشرعية فالأمر فيها أصعب ، والدراسات التي يُعتمد عليها في هذا الباب لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ، وكتابتنا السياسية لا تعدُّ في الغالب أن تكون توصيفاً للواقع أو لبعض جوانبه ، وهي تعمد غالباً إلى تصوير العدو الخارجي وكأنه أخطبوط امتد لكي يحيط بكل شيء

ويسيطر عليه ، وأما نحن فمجرد أحجار على رقعة شطرنج!! ومن ثم فإنّ الخطط التي تدار ، والدسائس التي تحاك هي سبب هزائمنا المتلاحقة ، والنتيجة الطبيعية هي الهروب من المسؤولية بإلقاء التبعة على العدو الخارجي دائماً!!

إنّ مشكلات الأمة الإسلامية ، مشكلات كثيرة ، متعددة الألوان متعددة الاتجاهات ، معقدة تعقيداً كبيراً ، وتحتاج إلى دراسات علمية جادة ناضجة تنفذ إلى العمق ، وترسم السبيل الأمثل لوعي الأمة وعزتها.

الوقف الثانية:

الموضوعية العلمية في البحث والدراسة والتحليل:

تميزت بعض الكتابات الإسلامية بضعف ظاهر في اعتماد الموضوعية العلمية في البحث والدراسة والتحليل ، ومن علامات ذلك:

أولاً: ضعف منهج الاستدلال العلمي:

إنّ الاعتماد على المصادر الشرعية للاستدلال والتلقي ، مطلب أساس لسلامة البحث العلمي واستقامته على الجادة الصحيحة ، وقد تواترت الدلائل الشرعية لتقرير ذلك والتأكيد عليه ، قال الله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً)) [سورة النساء: الآية ٥٩] ، فالأدلة المتفق عليها هي: الكتاب والسنة والإجماع واختلف العلماء في القياس ، وأكثرهم على اعتباره دليلاً رابعاً إذا استوفى الشروط العلمية التي قررها علماء الأصول.

وقد انحرف عن هذا السبيل فنتان:

الفئة الأولى: الذين أهملوا النصوص الشرعية عل اختلاف ظاهر في درجة الإهمال وأدى ذلك إلى استحداث مصادر أخرى للاستدلال والتلقي. ومن هذه المصادر:

- (١) الاعتماد على الآراء والعقول البشرية المجردة ، مع توافر النصوص الشرعية المحكمة ، كما هو الحال عند أصحاب المدرسة العقلية ، ومن دار في فلكهم من أهل الرأي الذين يعارضون بأقيستهم الفاسدة وآرائهم الناقصة النصوص الثابتة المحكمة.
- (٢) الاعتماد على أقوال الشيوخ والرجال ، وجعلها حجة في ذاتها وتقديماً عليها على الكتاب والسنة الصحيحة.

(٣) الاعتماد على الذوق والوجد والإلهام والكشف ، كما هو الحال عند الصوفية والباطنية.

(٤) حصر الحق في منطقة أو بلد أو طائفة بدون حجة أو برهان.

الفئة الثانية: أخذوا بالأدلة المتفق عليها ، ولكنهم تعاملوا معها بحرفية صارمة أدت إلى الانحرافات التالية:

- (١) عزل النص الواحد عن النصوص الأخرى ، وأخذه كأنه وحدة مستقلة ، أو أخذ النص بمعزل عن المقاصد الكلية للتشريع الإسلامي ، وهذا يؤدي بالضرورة إلى قصور بين في النظر ، وعجز في التصور ، ومعلوم أنّ المسألة لا تتضح معالمها إلا إذا جمعت أطرافها واكتملت أجزاؤها.
- (٢) إهمال الأصول والقواعد العلمية التي أصلها الأئمة الأثبات في فهم النصوص ، مثل العام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ ، ونحوها.
- (٣) الاستهانة بأقوال الأئمة والفقهاء المتقدمين منهم والمتأخرين ، بحجة أن النص موجود بين أيدينا ، ويمكن أخذه مباشرة ، فلسنا بحاجة للنظر في شيء آخر ، ويحتج بعضهم بأن أكثر الأئمة والفقهاء كان ينهى عن تقليده وكتابه أقواله واجتهاداته ، وقد يقول: هم رجال ونحن رجال..!

وفي هذا المنهج خطورة بالغة لا تحمد عقباها ، ونتيجتها الحتمية إهمال التراث العلمي العظيم الذي ورثناه عن أئمة الإسلام وفقهائه الأعلام ، وفرق كبير بين تقليد الأئمة وجعل أقوالهم في منزلة أقوال النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم من جهة ، والضرب بها عرض الحائط وإهمالها من جهة أخرى..!

(٤) تأثر فهم الكاتب بالبيئة الاجتماعية والتربوية والنفسية التي نشأ عليها ، فإذا كانت البيئة تميل إلى التساهل فأحكامه واختياراته متساهلة ، وإذا كانت البيئة تميل إلى التشديد ، فأحكامه واختياراته متشددة.

وخطورة هذا المسلك أنّ المرء يبني اجتهاداته العلمية بناء على الخلفية الفكرية التي نشأ عليها ، وهو لا يشعر بذلك على الإطلاق ، فيكون اختيار الباحث واجتهاده انعكاساً لبيئته ، ولذا فإن التجرد في البحث والتحليل من القضايا الدقيقة التي تحتاج إلى مزيد عناية ونظر.

ثانياً: الاستهانة بعقل القارئ وفكره من خلال المسائل التالية:

١- تلقين القارئ:

يسعى بعض الكتاب إلى تلقين القارئ الفكرة المرادة وكأنها لوائح إدارية صارمة مجردة من الاستدلال العلمي والبرهان الشرعي ، ودور القارئ التسليم والقبول ، ثم التلقي والأخذ ، بدون نظر أو تأمل ، لأنّ الكاتب قد كفاه المؤونة ، وفكر بالنيابة عنه. فالكاتب بذلك يربي القارئ على التبعية والتقليد ، وعلى الحفظ والتلقين ، وليس على النظر والتفكير ، والنتيجة قدرة فائقة على الحفظ والاجترار ، وعجز ظاهر عن التأمل والتعقل والنقد البناء. إن الكاتب المتميز هو الذي يربي عقل القارئ ويدفعه إلى التفكير ويستحثه على النظر والمشاركة ، ويفتح أمامه آفاقاً جديدة من البح فحينما ينهي القارئ الكتاب الذي بين يديه ، ويبدأ بنشاط عقلي جديد يدعوه إلى التأمل وتقليب النظر ، ويثير عنده الرغبة في المساهمة الفاعلة ، فقدنجح الكاتب هنا نجاحاً ملحوظاً في ربط القارئ بما كتب وبمقدار ما يشعر القارئ بالحيوية والتفاعل ، يكون مقدار النجاح. ولكن حينما يعجز الكاتب عن دفع القارئ إلى التفكير ويبقي ذهنه ساكناً خاملاً ، فقد أخفق في ربطه والتأثير عليه ، والقارئ الذي يفقد القدرة على التفكير هو بالضرورة عاجز عن التفاعل والتواصل والانتفاع بما يقرأ..!

٢- الوصاية على عقل القارئ وفكره:

يسعى بعض الكتاب إلى فرض الوصاية على عقل القارئ وفكره ومحاصرته ، وإلزامه بالنتيجة التي توصل إليها ، ويظهر ذلك في بعض الأحيان من عنوان الكتاب فضلاً عن مادته الأصلية ، فبعضهم يعنون لكتابه بقوله: (القول الفصل في..) ، (نهي الصحبة عن...) ، (إلزام الأصحاب ب...). ، ويشعر القارئ حينما يقرأ لهؤلاء الكتاب في المسائل الخلافية التي تباينت فيها أنظار المجتهدين قديماً وحديثاً ، أنّ الحق معه بلا ريب ، وأنّ مخالفه على شفا جرف هار يُخشى أن ينهار به إن لم يتب...!

وليس خطأ أن يجتهد الكاتب في ترجيح أحد الأقوال بدليله إذا استقرغ وسعه وكان أهلاً لذلك ولكن الخطأ أن يصادر أقوال الآخرين ويحسم المسألة حسماً قاطعاً لا مراجعة فيه ، وفي هذا ازدراء بعلماء الأمة ومجتهديها الذين لم يصلوا إلى ما وصل إليه...!!

ويتفرع من هذه المسألة أنّ بعض الكتبة قد لا يلزم القارئ بالنتيجة التي توصل إليها ، ولكنه يوهمه بأنّ المسألة لا يوجد فيها إلا قول واحد ، ويسعى لتلميحه وإبرازه ، وإن وجدت أقوال أخرى فهي عنده ضعيفة ليس لها حظ من الأثر أو النظر ، مع أنها قد لا تقل قوة عن القول الأول ، وقال بها أئمة مجتهدون ، وأخشى أن يكون في هذا الأسلوب لون من ألوان الخداع وفقد للأمانة العلمية التي تعد

لازمًا من لوازم البحث العلمي ، كما أنّ فيها مشابهة لليهود الذين يكتُمون الحق ، قال الله تعالى: ((يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتُمون الحق وأنتم تعلمون)) (سورة آل عمران: الآية ٧١). والمنهج العلمي يقتضي عرض الأقوال والحجج بأمانة كاملة ثم يُرَجِّح بناء على القواعد العلمية المتبعة عند علماء الأمة للترجيح بين الأقوال ، قال ابن تيمية: «يجب أن يكون الخطاب في المسائل بطريقة ذكر دليل كل قول ومعارضة الآخر له ، حتى يتبيّن الحق بطريقه لمن يريد الله هدايته» (٦).

٣- ضعف التركيز:

بعض الكتاب يبدأ الكتابة والفكرة لم تنضج بعد في ذهنه ، ولم يتصور المسألة تصوراً جيداً ، فيضطر إلى الخلط والتلفيق ، أو الدوران وفقدان التركيز ، رغبة منه في الوصول إلى مراده، فلا الكاتب قادر على استيعاب الفكرة، ولا هو قادر على إيصالها إلى القراء، والنتيجة المتوقعة إزاء ذلك ضحالة الفكرة وميلها إلى السطحية وقلة العمق. إنّ الكاتب الناجح هو الذي يستطيع نقل الأفكار والمعلومات إلى القارئ بأقصى قدر من المنهجية العلمية ، مع سهولة العرض وسلاسة الأسلوب ، وأمّا الدوران والتنطع والتعقر في الكلام فكما أنّه يفسد الفكرة ويصعبها ، فهو يُملل القارئ وينفره. قال الإمام النووي في بيان آداب التصنيف: «وليحرص على إيضاح العبارة وإيجازها ، فلا يوضح إيضاحاً ينتهي إلى الركاكة ، ولا يوجز إيجازاً يفضي إلى المحق والاستغلاق» (٧). وقال ابن الأنباري: «متى أمكن أن يكون الكلام جملة واحدة ، كان أولى من جعله جملتين من غير فائدة» (٨).

٤- المنحى العاطفي:

يغلب الخطاب العاطفي على كثير من الأطروحات الإسلامية ، فالمواعظ والقصص هي السائدة في طريقة المعالجة لعامة القضايا ، فالربا مثلاً لا يُعالج معالجة فقهية اقتصادية مؤصلة ، تحدّد فيها أبعاد المشكلة ومعالمها ، ثم تحدد آثارها وأخطارها على الفرد والمجتمع ، ثم ترسم الحلول والبدائل العلمية الجادة ، للنهوض بالأمة من هذا المأزق الخطير. وهكذا عامة قضايا الأمة ينبغي أن تعالج بعلمية ، ولا تعالج بعواطف وعموميات تحوم حول الحمى ولا تقترب من أصل الداء ، ولا بأس أن توجد كتابات تركز على الجانب العاطفي ، أو تخصص فيه في مقاماتها ، ولكن لا ينبغي أن تكون هذه صفة سائدة في الخطاب الإسلامي، فالخطاب الوعظي يصلح لبعض الناس، ولكنه لا يصلح لهم جميعاً، كما أنّه يصلح لمعالجة بعض الموضوعات ، لكنه لا يصلح لها جميعاً والحكمة تقتضي وضع الشيء في موضعه اللائق به شرعاً وعقلاً. يخيل إليّ وأنا أقرأ لبعض الكتاب أنّ تخلف الأمة القرون الماضية كلها يمكن أن يعالج بإذكاء العاطفة والإصلاح القلبي ، ولا شك بأنّ هذا تبسيط ضيق الأفق ، وإيقاظ البعد الإيماني لمعالجة مشكلات الأمة مطلب أساس ولكنه بالمفهوم الشامل المتكامل لمعنى الإيمان ، ومن مقتضيات ذلك رسم الأوعية الشرعية الأصيلة للنهوض بالأمة من كبوتها.

٥- ضعف الرؤية الشاملة:

تفتقر بعض الكتابات الإسلامية إلى الرؤية الشاملة للإسلام ، وإنّما تأخذ أصول الإسلام وشرائعه أجزاء متفرقة لا صلة لها ببعضها.

وظهر في هذا الإطار اتجاهان:

الاتجاه الأول: ركز على القضايا الكلية ، وأهمل ما يسميه بالثانويات والقشور والشكليات ، مع أنّها كلها ثابتة بالنصوص الصحية عن النبي صلى الله عليه وسلم-على اختلاف بيّن في تحديد المقصود بالكليات والثانويات.

ومن ذلك أنّ أحدهم كان ينعى على بعض الناس اشتغالهم في إثبات صفة اليبدين لله سبحانه وتعالى ، وفي الوقت الذي تمتد فيه أيادي اليهود والنصارى لسرقة مقدرات المسلمين وأموالهم ، فضلاً عن أيدي فساق المسلمين التي ترابي وتعش وتحتكر...!

وأحسب أنّ هذا الاختلاف مفتعل تماماً ، والحقيقة أنّه يمكن إثبات يدين لله سبحانه وتعالى تليقان بكماله وجلاله وعظمته ، ومع ذلك يمكن محاربة اليهود والنصارى والتحذير من المرابين ونحوهم ، وأمّا تشطير الدين وتبعيضه فمما لم يرد عن الرعيل الأول من الصحابة والتابعين. الاتجاه الثاني: ركز على جزئيات الشريعة ووضعها في موضع الكليات ، وأدى ذلك إلي التساهل في الأخذ بأصول الإسلام ، وصرف الطاقات في قنوات مفضولة.

والصواب أنّه لا يجوز الاشتغال بالفروع على حساب الأصول ولا بالجزئيات على حساب الكليات ، كما لا يجوز إهمال الفروع والاستهانة بها، بدعوى أنها قشور وثانويات ، فكل شيء ثبت في دين الله عز وجل فهو حق يجب أن يقدر حق قدره، ويوضع في موضعه اللائق شرعاً.

ونصوص الشرع وقواعده تفتضي البدء بالأهم فالمهم ، كما جاء ذلك في حديث عبد الله بن عباس ، لما بعث النبي صمعاذاً إلى اليمن.(٩)

وفقه الأولويات من المسائل المهمة التي تحتاج إلى مزيد بحث ودراسة وتأصيل.

الهوامش:

- (١) المجموع شرح المذهب (٣٠/١)
- (٢) التعريف بأداب التأليف للسيوطي ص ٢٨
- (٣) كشف الظنون (٣٥/١) ، وبسط ابن خلدون
- القول في بيان هذه الأهداف في المقدمة (٢٣٠/٢ ، ٢٣١)
- (٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٨٦/١) وعنه السيوطي في تنوير الحوالك (٧/١)
- (٥) التعريف بأداب التأليف ص ٢٣، ٢٤
- (٦) مجموع الفتاوى (١٠٨/٨)
- (٧) المجموع شرح المذهب (٣٠/١)
- (٨) الإنصاف في مسائل الخلاف ص ٢٦٤
- (٩) أخرجه البخاري (٣٥٧/٣) ومسلم (٥٠/١)

الورقة الأخيرة

الهجرة غرباً

د. وحيد عطية المصري

يجذب انتباه المطالع للصحافة العربية اليومية الإعلانات المتكررة لمكاتب الهجرة إلى الخارج التي تحت أصحاب الخبرات العلمية ورؤوس الأموال على الهجرة إلى الغرب ، كذلك يجد المتتبع لتلك الإعلانات أن فحواها كتب بطريقة خبيثة ومغرية لجذب «الزبائن» لبضائعها! وعادة ما تذكر تلك الإعلانات العديد من المميزات مثل:

* نظام الضمان الاجتماعي للمستحقين.

* الرعاية الصحية المجانية.

* التعليم مكفول للجميع.

* الاستقرار والأمان والحرية.

لذلك يجد الكثير من أبناء المسلمين المضطهدين في بلدانهم المؤهلين تأهيلاً عالياً ضالتهم في مكاتب الهجرة تلك ، ويقبل عليها المضطرون اضطراراً أو أصحاب الثروات الخائفين من مصادرتها بطريقة أو بأخرى ، وغالباً ما يجد العلماء والمهندسون والأطباء والمحاسبون فرص عمل ممتازة في البلاد الغربية مقارنة بما يجدونه في بلادهم، بل إن العديد منهم يبرزون نظراءهم الأجانب ويتقلدون أعلى المناصب في المؤسسات والهيئات التي يعملون بها.

إن الأمر ليس بمقصور على مكاتب الهجرة فحسب ، بل إن المشاهد لطارقي أبواب بعض السفارات يطلبون معلومات واستفسارات عن الهجرة يتيقن تماماً أن نزوح الخبرات المسلمة في تزايد مستمر ، وهو من غير أدنى شك يؤدي إلى النزوح المعاكس للخبراء الأجانب إلى بلاد بعض المسلمين بميزات خاصة لا تتوفر لأبناء المسلمين في بلدانهم!

غير أن كل ما سبق من مغريات للعيش في بلاد الغرب يجب أن لا ينسينا ما يواجهه الغرب من انهيار في القيم والأخلاق، بالإضافة إلى ما سيواجهه المسلم هناك من مشكلات، منها على سبيل المثال لا الحصر: أداء الفرائض بصفة عامة، وتربية الأبناء وتعليمهم، وخطر تأثير المجتمع المختلط على الأسرة المسلمة.

وهناك أسئلة عدة تطرح نفسها: هل توضح مكاتب الهجرة المميزات والأخطار «للزبون»، أم تعميه بذكر المميزات التي يفتقدها في بلاده فقط؟ لماذا تبحث مكاتب الهجرة عن المسلمين سواء أكانوا خبراء أو مستثمرين وتشجعهم على الهجرة؟ وإلى متى هذا التزاحم على مكاتب الهجرة وأبواب السفارات الأجنبية من أبناء المسلمين؟

ليس المطلوب من علماء المسلمين ومفكريهم محاربة هذه الظاهرة فحسب، بل عليهم أيضاً إيجاد الحلول والتشريعات اللازمة للمحافظة على العقول المسلمة، وتكريمها، وإعطائها الثقة الكاملة في سبيل النهوض بالأمة الإسلامية لتصبح الرائدة بين الأمم في شتى نواحي الحياة.

تمت بعون الله والحمد لله رب العالمين